

الديانة الداروينية

الإصدار (٤٦)



هارون يحيى

ترجمة واختصار: مبارك عامر بقنة



الإصدار (٤٦)



الديانة الداروينية

بحسب علم النفس الحديث فإن الحضور الهجائي المفرط ، إنما يعكس الانطواء على نفس القدر من المعنى الذي يقرر الظاهر الفرار منه بذلك السلوك المتخفي .. في هذا الكتاب لن تتعرف فقط على أن الداروينية إمتداد لفكرة قديمة في أساطير الديانات الوثنية ، بل ستعرف أن الداروينية تحمل مقومات الأديان من حيث العقائد التي تنطوي على تصورات كلية للكون والوجود : بل ومن حيث التعلق بالمسلمات الغيبية التي يعيبها الملحدون التطوريون على الأديان في حربهم على الوحي والنبوات..

الناشر



المملكة العربية السعودية
00966591104492
ص.ب 242193 الرمز البريدي 11322
daralwae@gmail.com

تصميم الغلاف





الديانة الداروينية

الديانة الداروينية

هارون يحيى

ترجمة وتهذيب واختصار

مبارك عامر بقنه

دار الوعي للنشر والتوزيع ، ١٤٣٧هـ

الديانة الداروينية
تأليف : هارون يحي
ترجمة وتهذيب : مبارك عامر بقنة
٩٦ ص ؛ .. سم



مركز الفكر المعاصر

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ

markazalfekr@hotmail.com
هاتف ٠٠٩٦٦٥٩١١٠٤٤٩٢

الفهرس


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

من الأسئلة الوجودية الكبرى التي ترد على الذهن: ما الإنسان؟ من أين أتى؟ ما علاقة الإنسان بالكون؟ ما غاية وجوده؟ ما مصيره؟ هذه الأسئلة اشغلت الفكر الإنسان قديماً ولا زال منشغلاً بها كثير من الناس. ولقد تناول القرآن الكريم قضية الوجود الإنساني بكل وضوح، فبين الله تعالى في عدة آيات أن الله عز وجل خلق الإنسان من تراب، ذكر هذا الشأن بشكل واضح كي لا يلتبس الأمر على الناس قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧]

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠].

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]

قال تعالى : ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف: ٣٧]

فهذا الأمر لا اشكال فيه عند المسلمين؛ بل عند أهل الديانات السماوية، والفطرة السليمة تشهد على هذا وتقره ولكن من فسدت فطرته ولم يهتد بشرع الله تعالى فإن الأمر يلتبس عليه ويكون في حيرة من أمره.

فقد ظل العقل يبني أفكاره نحو الوجود على الظن والخيال والأوهام، وهو حتماً لن يصل لنتيجة صحيحة طالما هو يزيح الله عز وجل عن فكره، فلا يمكن لأي نظرية أو فرضية أن تصل لحقيقة الوجود وهي تجحد وجود الله تعالى، وتنكر قدرته على الخلق والإيجاد، وتنسب ذلك إلى الطبيعة أو بعض مكوناتها.

وكما كانت هذه القضية مقلقة قديماً فهي لا زالت إلى هذا اليوم مقلقة لدى فئام من الناس، ففي عصرنا قرأنا من يقول:

جئت، لا أعلم من أين، ولكنّي أتيت
ولقد أبصرت قدّامي طريقا فمشيت
وسأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟
لست أدري!

فهذه حيرة يعيشها الشاعر لأنه أراد أن يعرف بعقله كيف جاء، وما علة مجيئه، دون أن ينسب سبب الإيجاد إلى الله عز وجل فسقط في الحيرة والقلق. والعقل يدرك أن الله خالقه، ولكن الاشكال في تجاهل هذا الخالق عز وجل، وسلب خاصية الخلق من الله تعالى، وإرجاع ذلك إلى الطبيعة أو مخلوق آخر دون الله تعالى، وهنا يأتي القلق الذي عاشه الشاعر لأنه رأى أن الوجود عبث لا غاية له.

وقبل الشاعر كان أيضـًا تشارلز داروين صاحب نظرية التطور يعيش في حيرة واضطراب، وهذا أمر طبعي؛ لأنه انتزع صفة الخلق التي هي من خصائص الله تعالى ونسبها إلى غيره، وصفة الخلق هي من خصوصيات الله تعالى قال تعالى ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦]

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر: ٦٢].

يقول داروين واصفـًا حيرته: «في تذبذباتي الكبرى، لم أصل أبداً إلى الإلحاد بالمعنى الصحيح لهذا اللفظ، أي أنكار وجود الله. لكنني اعتقد على وجه العموم (وكلما امتد بي العمر) أن الوصف الأدق لحالتي العقلية هو: اللاأدرية agnosticism»[1]. فهذا كان حاله أنه لا يدري، ويقول أيضـًا: «لا يمكن بأي حال أن اقتنع بهذه الرؤية أن هذا الكون المذهل، وخاصة فيما يتعلق بالطبيعة البشرية ... وأنا ميال للنظر في كل شيء كنتيجة عن قوانين موضوعة ... وكل هذه القوانين تم تصميمها بشكل صريح من قبل خالق كلي العلم، الذي (تنبأ) عن كل حدث في المستقبل، ولكن أكثر من هذا إذ أعتقد أنني أصبحت أكثر حيرة».

فمن زعم هناك شريكـًا لله تعالى في الخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير أو التصرف من دون الله تعالى فهو حتمـًا سيعيش في حيرة واضطراب. ولا يمكن أن يجد برهانـًا يؤيد قوله ورأيه، وسيتجه للكذب والافتراء والتزوير والمجادلة بالباطل قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى

---

(١) الموسوعة الفلسفة لعبدالرحمن بدوي (١/ ٤٧٥)

ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج: ٨ – ٩].

فمن أصعب القضايا التي تناولتها البشرية هي قضية الوجود الإنساني، والصعوبة تكمن في تجاهلها الوحي وتعاملها مع الإنسان كالموجودات الظاهرة، والإنسان خلاف ذلك، فهو أسمى من هذه الموجودات، ولا يمكن فهم الطبيعة الإنسانية من الخارج فحسب، فهو ليس كتلة صماء؛ بل لابد من معرفة الإنسان من الداخل، فلا يكتفي التعامل مع الإنسان على أنه مادة مجردة لا روح له، فطبيعة الإنسان أعمق مما في الظاهر، ومن تعامل مع الإنسان على أنه مادة نشأ في الكون كبقية المواد الأخرى فإنه حتماً سيسقط القيم الإنسانية الكبرى كحاجة الإنسان للتعبد، ويلغي القيم الأخلاقية التي هي من الخصائص الإنسانية، ويتجاهل مشاعر الإنسان وأحاسيسه وعوالمه الداخلية ويتعامل مع كل هذه الخصائص على أنها نتيجة الأثر المادي فيه، وأنها جزء من الطبيعة المادية تخضع لقوانين المادة كما تخضع الحجر والشجر، وبما أن وجود الإنسان كوجود المواد الأخرى فإن مصيره كمصيرها، هو الفناء والعدم. وهذا أكبر مأزق تعيشه الحضارة الغربية في نظرتها للإنسان باعتباره مادة كبقية المواد.

هذا الكتاب يكشف تزوير الداروينية، ويبين تدليسها وكذبها على الناس، وأن الداروينية دين يراد به صرف الناس عن ربهم وجعلهم يعيشون في الحياة دون غاية أو هدف، مثلهم مثل الدواب، والكتاب أصله لهارون يحيى بعنوان (THE RELIGION OF DARWINISM) وقد قمت بترجمته، وتهذيبه، وحذف المكرر، والتعليق على بعض المواطن، وأشكر كثيراً مركز الفكر المعاصر على اقتراحاتهم الجوهرية التي قدموها لي، والتي ساهمت في إخراج الكتاب بهذه الصورة النهائية. وقد حاولت

أن تكون التعليقات قليلة وقصيرة كي لا يزداد حجم الكتاب، فيخرج عما أردت.

وقد رأيت أن اضع بين يدي الكتاب ، خلاصة مكثفة عن كتاب«**فهم التطور: التاريخ، والنظرية، والدليل، وتداعياتها**» لـ « آر. ج. برايس »، لما رأيت من اتفاق في التحليل وتوافق في النتائج .

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب كل من ساهم فيه وكل من قرأه، وصلى الله على نبينا محمد.

مبارك عامر بقنة

@M_BU200

نبذ واقتباسات من كتاب:

«فهم التطور: التاريخ، والنظرية، والدليل، وتداعياتها»[١]

لـ « آر. ج. برايس »

يقول المؤلف:

«غالباً ما ترتبط نظرية التطور البيولوجية بتشارلز داروين، لأنه الذي اقترح آلية الانتقاء الطبيعي وصاحب ذلك الاقتراح حجم كبير من البيانات التجريبية لإثبات التطور البيولوجي.

ومع إن داروين لم يكن أول شخص اقترح التفسير التطويري لتنوع الحياة على الأرض [لأمر ما أريد لنا أن نفهم أن التطور إبتكار خاص بداروين]. حيث إن المفاهيم التطورية حول تاريخ الحياة يرجع بعيداً في أعماق التاريخ وظهور تلك المفاهيم في عديد من الثقافات المختلفة. إذ قال الإغريق بمفهوم التطور منذ ٢٣٠٠ سنة وهي مساوية في جوهرها لنظرية تشارلز داروين، ولكن النصارى الأوائل اعترضوا هذه الفكرة وحطموا كل الأعمال التي روجت لها أو أي تفسيرات مادية أخرى عن الظواهر الأرضية.

أصل الخرافة

هناك حرفيا الآلاف من القصص الخرافية المختلفة حول أصل منشأ العالم والحياة. وهناك العديد من المواضيع المشتركة في أصل الأساطير، ولكن في جميع أنحاء العالم يوجد تنوع مختلف في الأساطير عن غايات وجود الكون، والأرض، والحياة، والإنسان. حيث تفاوتت بشكل كبير هذه الأساطير في أهميتها ودورها من ثقافة إلى أخرى وهذا جارٍ على مر

---

(1)http://www.rationalrevolution.net/articles/understanding_evolution.htm
Understanding Evolution: History, Theory, Evidence, and Implications.

التاريخ. في كثير من الثقافات القديمة لم يكن لأصل الوجود الأسطوري قيمة مركزية في النظام الإيماني، ولم يكن أيضاً مدروسا بشكل الاستنتاج المنطقي. ولم يدون في تلك المجتمعات مثل ما دون للأساطير الأخرى، كانت فقط تنتقل شفهيا، وفي كثير من الأحيان كانت تؤدي شكلا من أشكال الترفيه، بالإضافة كوسيلة لتمرير المعتقدات التي كان لها أهمية في المجتمع.

عند النظر في أسطورة الأصل في جميع أنحاء العالم يمكن ملاحظة عدة أنماط. أصل الأساطير لدى مجتمعات ما قبل الزراعة حيث تميل إلى وضع البشر والحيوانات في علاقات وثيقة، في حين أن أسطورة الأصل في المجتمعات الزراعية تميل إلى جعل البشر منفصلين في الخلق. وبعض المعتقدات عن الإنسان والحيوان التي يتم التعبير عنها في الأساطير المختلفة أن: الحيوانات تحولت إلى بشر، وأن البشر ولدوا من الحيوانات، وكانت الآلهة حيوانات أو كانت جزءا من الإنسان وجزءا من الحيوان، وقد أخذت وقتا لتهذيب الحيوانات، ويشترك الإنسان والحيوانات في الأرواح، فتجسّد الإنسان حيوانا، وتجسد الحيوان إنسانا.

وفي المجتمعات الأكثر تقدما من الناحية التقنية، كان هناك الفصل بين الإنسان والحيوانات الأخرى بشكل أكثر وضوحا؛ حيث الإنسان أستأنس الحيوانات، وهيمن الإنسان على الحيوان، وفصل خلق الإنسان عن الحيوان، وجعل خلق الحيوانات للاستخدام أمر مشاع.

ويعتقد أن ثقافة السكان الأصليين في استراليا هي أقدم ثقافة مستمرة في العالم، ويرجع ذلك إلى عزلة القارة الأسترالية. يعتقد أن الأساطير لدى سكان أستراليا الأصليين هي أيضا تعكس بعض أساطير الإنسان

المبكرة[١]... وأدني مقاربة يخلص فيها الباحث الموضوعي إلى توافق غير قليل في تفاصيلها مع ما يقرره داروين في نظرية التطور.

ففي كثير من أساطير الأمريكيين الأصليين والآسيويين ليس هناك إله خالق محدد أو فعل للخلق، بل بدلا من ذلك، يقال إن العالم قد تشكل من الفوضى، ويقال إن تطور الحياة هو كان نتاج بعض القوى الروحية. وكثيراً ما يقال إن هذه القوى الروحية في العقائد الإيمانية هي حاضرة أبدا، وعملها دائم بشكل مستمر. وبشكل عام تظهر أساطير الأمريكان الأصليين عن الإنسان والحيوان على أن بينها علاقة ولها سلف مشترك. وبهذه الثقافة فسروا الأحافير وادمجوا علم الأحافير في أصل أساطيرهم.

يمكن التعرف على أن تنوع الأساطير جاء من آسيا، ولكن أصل الأساطير لم يتخذ له دورا هاما في آسيا لعدة قرون. وهذا إلى حد كبير يعود إلى أن جزءا كبيرا من آسيا هيمنت عليها البوذية، والطاوية،

---

(١) طبعا لا نقر للكاتب بهذا الأمر، فالإنسان منذ البدء خُلق على فطرة سليمة سوية، يقر أن الله عز وجل هو الخالق المصور المكون لهذا الوجود وأنه لا شريك له في خلقه وملكه، وأن له التصرف المطلق في هذا الكون يخلق ما يشاء سبحانه، ولا يسأل عما يفعل. فالبشرية في أصلها ولمدة عشرة قرون كانت مؤمنة أن الله هو الخالق، ولم يحدث الانحراف في البشرية إلا بعد أن انحرفت عقيدتها وأخذت تعبد الأوثان، حينها التبس وأشكل عليها الأمر، إذ كيف لمخلوقات عاجزة أن تخلق هذا الوجود بمن فيه، فتاهت في ظلال مبين، وأنا أوردت كلام الكاتب ولم أحذفه لكي يدرك الشباب هذه العبارات التي تدس بين السطور عن العصور المبكرة، ويصفون العصور المبكرة بأنها متخلفة لا تعي من الأمر شيئا، أن هذا الأمر غير صحيح، بل القرون المبكرة كانت أكثر وعيا وبصيرة من العالم الغربي في عصره الحالي، فالقرون المبكرة أقرت بالخالق وعبدته، بينما الحضارة الغربية المعاصرة أزاحت الخالق عن فكرها وضميرها فحارت وعاشت في ظلام دامس. فالعبرة ليست بالإنتاج المادي ولكن في سلامة العقيدة وصحة التصور، والغرب قد فسدت تصوراته ويعيش في ظلام أشد من العصور المظلمة.

والكونفوشيوسية، وكلها مذاهب فلسفية لم تقل إلا القليل أو لا شيئا عن أصل الوجود.

كانت «الروحانية» مشتركة بين الثقافات الأوروبية والآسيوية فيما قبل التاريخ واستمرت في الآونة الأخيرة نسبيا في بعض الأجزاء، حتى وصل الأمر في النهاية إلى صراع مع المسيحية. وكثير من الثقافات الأوروبية القديمة، مثل الكلت[١]، وهي من الدول الاسكندنافية، وغيرها الكثير، يعتقدون بالاشتراك الذي يربط بين «الحيوان» و «الإنسان». وفي الحقيقة، بالنسبة للكثيرين ليس هناك فصل على الإطلاق. وهذا هو أحد الأسباب التي تجعلهم يرتدون جلود الحيوانات ويمارسون طقوساً مشتركة في وسط ما يسمى القبائل «البربرية» في أوروبا».

انتهى المطلوب اثباته عن كتاب : «فهم التطور: التاريخ، والنظرية، والدليل، وتداعياتها» لـ « آر. ج. برايس »

(١) مجموعة من الشعوب تقطن في جزء كبير من أوروبا وآسيا الصغرى في عصور ما قبل الرومانية. تطورت ثقافتهم في أواخر العصر البرونزي حول الجزء العلوي من نهر الدانوب، وبلغت ذروتها في ثقافة لاتين (من القرن الأول إلى الخامس قبل الميلاد) قبل أن يتم اجتياح من قبل الرومان والشعوب الألمانية المختلفة.

الديانة الداروينية

هارون يحيى

ترجمة وتهذيب واختصار

مبارك عامر بقنه

«لقد تم تحوير نظرية التطور، مع إن خصائص النظرية الداروينية لا تزال هي نفسها، إلا إنها أصبحت عقيدة يبشر بها أتباعها بتوقد وحماس ديني».

(مقابلة مع مارجوري جرين، نوفمبر ١٩٥٩، ص ٤٨).

فقدت نظرية التطور مصداقيتها في الأوساط العلمية منذ أن ظهرت للمرة الأولى، فأعداد كبيرة من الاكتشافات العلمية تترا واحدة تلو الأخرى لتبطل ادعاءات النظرية. فتطور المجهر الالكتروني، والمعرفة الجديدة لقوانين الوراثية، واكتشاف بنية الحمض النووي، والكشف عن مدى تعقيد كل كائن حي، والتطورات الحديثة الأخرى مستمرة في دحض الداروينية.

ومع أن العلم يتطور بسرعة ويضيف في حياتنا أشياء جديدة بشكل مستمر، إلا إنه لا يزال العلماء غير التنويريين، والمتعصبون، مستمرون في دفاعهم عن النظريات التي جرت في القرن التاسع عشر، نظريات تم دراستها ضمن الفهم العلمي البدائي التي بسذاجتها وسطحيتها تضحك الأطفال.

لذلك ما تفسير حقيقة أن الداروينية لا تزال لها شعبية حتى في بعض الأوساط العلمية؟ مع إنه لا يوجد هناك دليل علمي واحد ملموس تستند عليه؛ بل من الواضح بجلاء أن كل شيء حي نشأ وتكون وفق تصميم دقيق لا يلحقه خلل، وإنه لم يأتِ شيء إلى الوجود عن طريق الصدفة، كما تدعي نظرية التطور. ومع هذا لا يزال كثير من الناس يتبنون هذه النظرية بشكل قوي، فكيف يمكن هذا؟

السبب هو: أن النظرية هي أكثر تعبيرا عن الإيمان اليقيني بعيداً عن الصياغة العلمية. إنها العقلية التي لا ترى التطور مجرد نظرية يمكن

البحث في صحتها من قبل الوسائل العلمية. ولكن تراه اعتقادا يجب أن يُصان مهما كلف الأمر. ولأن إيمانهم لا يمكن إثباته عن طريق الحقائق العلمية، حيث الناس بهذه العقلية لديهم رباط دوغماتي[1] مع نظريتهم لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتأثر بالبراهين العلمية التي دحضت النظرية. ولهذا مهما كانت الأدلة التي ضد التطور مقنعة، فلا يزال التطوريون مستمرون في تجاهلها ويدافعون ببسالة عن إيمانهم[2].

---

(١) الدوغماتية أو الدوغمائية هي: التعصب لفكرة معينة دون قبول النقاش فيها أو الإتيان بأي دليل ينقضها لمناقشته.

(٢) النظرية الداروينية لن تلتفت لأي دليل يبطلها، لأن إبطال النظرية يعني إعادة السلطة اللاهوتية وهذا ما لا يريده أنصار الداروينية، فهم سيرفضون كل دليل عقلي أو منطقي أو علمي ينقض الداروينية وسيكون موقفهم مرتكز على العناد والتأويل المتعسف للأدلة المعارضة لهم، وهذا ديدن الكفار المعاندين أن يرفضوا ويردوا كل حق، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٥] قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٩٦ - ٩٧].

ولقد صادفت ظهور نظرية داروين جواً مناسباً؛ إذ كان ميلادها بعد زوال سلطان الكنيسة والدين وبعد الثورة الفرنسية والثورة الصناعية حيث كانت النفوس مهيأة لتفسير الحياة تفسيراً مادياً بحتاً ومستعدة لتقبل أي طرح فكري يقودها إلى مزيد من الإلحاد والبعد عن التفسيرات اللاهوتية مصيبة كانت أو مخطئة. وقد وجد اليهود والقوى الهدامة فيها ضالتهم المنشودة فعملوا على استغلالها لتحطيم القيم في حياة الناس... ونتيجة للنظرية لم يعد معنى لمدلول كلمة: آدم، حواء، الجنة.. وسيطرت الأفكار المادية وتخلت جموع غفيرة عن إيمانها بالله تخلياً تاماً أو شبه تام، وظهرت عبادة الطبيعة... ونتيجة للنظرية لم يعد هناك حاجة من البحث في الغاية والهدف من وجود الإنسان وطغت على الحياة فوضى عقائدية واستبد شعور باليأس والقنوط والضياع، وظهرت أجيال حائرة مضطربة ذات خواء روحي، وقد كانت نظرية داروين إيذاناً وتمهيداً لميلاد نظرية فرويد في التحليل الفنسي وميلاد نظرية برجسون في الروحية الحديثة وميلاد نظرية سارتر في الوجودية وماركس في المادية». انظر المعجم الفلسفي لمصطفى حسيبة (٢١٧) (المترجم)

نظرية التطور عند الداروينيين هي أكثر بكثير من مجرد افتراض علمي. وحين تصبح نظريتهم مسألة تخضع للنقاش، فإن علماء التطور يفقدون على الفور الحياد والموضوعية العلمية. فهم يرتبطون بشدة مع نظريتهم حتى أن علماء الأحياء الأكثر تميزا «يفضلون فقدان أيديهم من بدء الجملة بعبارة:« إذا كانت نظرية التطور صحيحة ... »[1] فهم لا يريدون حتى أن يعتبروا نظرية التطور: قد لا تكون صحيحة[2].

لم يعتاد الناس على رؤية هذا الموقف من العلماء. فهم عموماً يتخيلون أن الخطاب العلمي مستقل عن أحكام العالم المسبقة الفلسفية والعقائدية وأن العلماء هم أفراد موضوعيون يثبتون الحقائق بأدلة ملموسة وبراهين أثبتت التجربة صحتها. لهذا السبب نادرا ما يشك الناس في صحة نظرية التطور.

---

(1) «Darwin's Death in South Kensington,» Nature, February 26, 1981, vol. 289, p. 735.

(٢) مدار مذهب الداروينية قائم على التعصب وليس على البرهان والدليل، فقد اثبت العلم الحديث بطلان نظرية التطور، فلم يبق لهم سوى التعصب ورفض الحق، والمكابرة والمجادلة بالباطل ، والإصرار على الكفر، ومحاربة أهل الحق قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ ﴾ [غافر: ٢٥] وحين يقدم الدليل للناس، فلا تتوقع منهم الانصياع للدليل، فكثير من الناس يكرهون الحق لذاته كما قال تعالى: ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٠] فالمتعصب والمقلد الأعمى لو أقمت عليه كل حجة، وأقمت عليه كل دليل لن ينصاع لك بل سيبقى في غيه، قال تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سبأ: ٤٣] فهكذا دائماً موقف المتعصب من الحق. ولقد رأينا هؤلاء الداروينيين في المحاورات والمناقشات كيف يرفضون الحق البيّن، وقد زادوا على الطين بله أنهم يزعمون أنهم أصحاب الدليل، وأن غيرهم جاهل مقلد لأسلافه، فجمعوا بين سوأتين، بين رفض الحق وادعاء العلمية، وهذا من شر البلية. (المترجم)

وعلماء التطور عندما يناقشون نظرية التطور فإنهم لا يبالون بالمعايير العلمية. فهذا الداروينى البارز، «بيير شاردين» (Pierre Chardin)، يكشف بكلماته موقع «العلم» في النظرة الداروينية:

« هل نظرية التطور علم، أم فرضية؟ هي أكثر من ذلك بكثير. إنها مسلمة عامة لكل النظريات، ولكل الفرضيات، ومن الآن فصاعدا يجب على جميع الأنظمة أن تنحني لها، ويجب أن ترضى لكي تكون صحيحة ومحتملة القبول. التطور هو النور الذي ينير كل الحقائق، ومسار يجب أن تتبعه جميع خطوط الفكر. هذا هو التطور»[١].

كما يمكن أن يرى في الاقتباس أعلاه، أن المصطلحات المستخدمة من قبل الداروينيين حول نظريتهم تعطي مؤشرات هامة عن موقفهم العقائدي والولاء الأعمى. خذ أمثلة أخرى، أحد رواد أنصار التطور في العالم، «ج. هاربر» (G. Harper)، يسمي نظرية التطور «الاعتقاد الميتافيزيقي»[٢]

ويسميها البيولوجي التطوري اللامع في جامعة هارفارد، «إرنست ماير» (Ernst Mayr)، «رؤية الإنسان العالمي اليوم»[٣]. وربما أعظم تطوري بارز في القرن العشرين «السير جوليان هكسلي» (Sir Julian Huxley)، رأى أن التطور هو «عملية كونية سائدة على الجميع» وأنه «الحقيقة كلها»[٤]. ورائد

(1) Francisco Ayala, «Nothing in Biology Makes Sense Except in the Light of Evolution: Theodosius Dobzhansky, 1900-1975,» Journal of Heredity, vol. 68, no. 3, 1977, p. 3.

(2)G.W. Harper, «Alternatives to Evolutionism,» School Science Review, vol. 51, Sept., 1979, p. 16.

(3)Ernst Mayr, «Evolution,» Scientific American, vol. 239, Sept., 1978, p. 47.

(4) Julian Huxley, «Evolution and Genetics,» Ch. 8 in What is Science?, pp. 272 and 278.

الوراثة التطورية في وقتنا الحاضر، كتب نعياً «للثيودوسيوس دوبجانسكي» (Theodosius Dobzhansky) (الذي يحتمل هو أيضـاً واحد من التطوريين في زمن وفاته في عام ١٩٧٥)، يقول إن الرؤية التطورية لدوبجانسكي جاءت تبعـاً لدي شاردين. و«كارل بوبر» (Karl Popper)، وهو أحد رواد فلاسفة العلم في العالم، قد ذكر أن التطور ليس نظرية علمية ولكن برنامج بحث ميتافيزيقي[(١)]. وقد وصلت «ليبسون» (Lipson) في أعقاب هذه التعاريف إلى الاستنتاج التالي:

> «في الواقع، أصبح التطور بالمعنى «دين علمي»؛ تقريبا قد قبلها جميع العلماء، وكثير منهم على استعداد ليحوروا ملحوظاتهم كي تتلاءم معها»[(٢)]

من المهم ملاحظة الكلمات والعبارات التي يستخدمها المؤلفون المذكورون آنفا حين يناقشون الداروينية، فهم لا يذكرون أي إشارة إلى أي أدلة رياضية أوعلمية ثبتت بالتجربة أوالملاحظة كي تدعم ادعاءاتهم. بل يقدمون أوصافاً غريبة، فيسمون التطور «الحقيقة كلها»، «العملية السائدة على الجميع»، «الضوء الذي ينير كل الحقائق».

لا أحد يجعل مثل هذه التأكيدات العقائدية أو التفسيرات الميتافيزيقية أو الاستنتاجات المبالغ فيها للإشارة إلى الحقائق العلمية التي تم قبولها بسهولة كقانون الجاذبية، أو دوران الكرة الأرضية، أو قوانين الديناميكا الحرارية. ولا أحد يجعل مثل تلك المزاعم المبالغ فيها عن نيوتن، أو آينشتاين أو أي عالم آخر. فلا أحد يسمي قانون الجاذبية «الاعتقاد المقنع»، ولا أحد يقول عن قوانين الديناميكا الحرارية، «أود أن أفقد يميني بدلا من بدء الجملة بعبارة» إذا كانت صحيحة ...»

---

(1) The Philosophy of Karl Popper, vol. 1, pp. 143 and 183.
(2) The Long War Against God, p. 127.

إن ما يقوله هؤلاء الناس، يعطي انطباعاً أنهم أدوا القسم لحماية دينهم تحت أي ظرف. وبالتالي، فإنهم لا يحتاجون إلى اتباع الأسلوب العلمي أو توظيف الخطاب العلمي. فهم لا يشيرون إلى أي تجربة أو نتائج وإنما مجرد استخدام كلمات ذات دلالات ميتافيزيقية. إذا تم التدقيق في الكلمات، فإنها تظهر صورة مثيرة: «العقيدة التطورية»!، «الإيمان العلمي»!، «إيمان مقنع»!، «رؤية عالم الإنسان اليوم»!، «طريقة الترويج»!، «الحقيقة كلها»!، «الضوء الذي ينير كل الحقائق»!، « الإيمان الغيبي»!، « برنامج البحث الميتافيزيقي»!،« المدار الذي يجب كل نظام فكري أن يتبعه»!...

ولو تم دراسة الأدب التطوري أكثر من ذلك، فسيجد كثير من الأمثلة للطبيعة الدينية لهذه العقيدة، ويرى أنه يظهر في كل ظاهرة اجتماعية ونفسية من وجهة نظر النظرية التطورية. يصف عالم الأحياء من جامعة سيدني، «ال. بيرتش» (L. Birch)، وعالم الأحياء من جامعة ستانفورد، «ب. إرليخ» (P. Ehrlich)، العقيدة التطورية بهذه الطريقة:

«لقد أصبحت نظريتنا التطورية ... واحدة لا يمكن دحضها من قبل أي ملاحظة ممكنة. كل ملاحظة يمكن تخيلها يمكن أن تتناسب معها. ومن ثم هي «خارجة عن العلم التجريبي» ولكن ليست بالضرورة كاذبة. لا يمكن لأحد أن يفكر في السبل التي يمكن اختبارها فيه. فالأفكار تتحقق إما دون أساس أو بناء على عدد قليل من التجارب المخبرية التي أجريت في نظم مبسطة للغاية حيث نالت رواجاً إلى ما هو أبعد من صحتها. لقد أصبحنا جزءا من العقيدة التطورية يقبلها معظمنا كجزء من تدريبنا» [1].

(1) L.C. Birch and P.R. Ehrlich, Nature, vol. 214, 1967, p. 369.

الموقف العقائدي في التطور الحديث هو أكثر جمودا من داروين نفسه. عندما اقترح داروين هذه النظرية، ترك مجالاً لاحتمال أنه يمكن قد ارتكب خطأ ما. في كتابه «أصل الأنواع» يبدأ في كثير من الأحيان مقاطعه بهذه العبارة «إذا نظريتي صحيحة». وفي أبحاثه يمكن ملاحظة أن داروين قبل بعض المعايير العلمية واقترح بعض الطرق التي يمكن بها دراسة نظريته. على سبيل المثال، كتب عن السجل الأحفوري:

«إذا كانت نظريتي صحيحة، فبكل تأكيد أن أنواعا متوسطة لا تحصى، التي تربط بشكل وثيق جميع الأنواع من نفس المجموعة مع بعض، كانت موجودة... ونتيجة لذلك، فإن الدليل على وجودها السابق يمكن أن يوجد فقط بين الرفات الأحفوري»[١].

لم يتم العثور أبداً على الأصناف المتوسطة التي ذكرها داروين وقال إنها لا تحصى، وكثير من علماء الأحافير التطوريين تخلوا اليوم عن هذا الأمر. فلو أُخذ في الاعتبار شرط داروين «إذا كانت نظريتي صحيحة» فإن نظريته يجب أن ترفض. لو كان داروين حيًا اليوم، ربما قد تخلى عن نظريته لهذا السبب بالذات.

ولكن يظهر التطوريون المعاصرون لا مبالاة وتعصب غير عادي فيما يتعلق بهذا الشأن. ظهر في إحدى المجلات التطورية البارزة في تركيا، «العلم واليوتوبيا»، مقالاً للدكتور «أوميت ساين» (Dr. Umit Sayin)، الذي عُرف بأنه قائد وطني تطوري. وقد كتب الدكتور ساين عن مقاله داروين فيما يتعلق بالأشكال الوسيطة التي قال عنها داروين: «إذا كانت

(1) The Origin of Species: A Facsimile of the First Edition, p. 179.

نظريتي صحيحة ... الدليل على وجودها السابق ربما يمكن أن يوجد فقط وسط بقايا الأحفورة» ما يلي:

«حقيقة أن الأركيوبتركس Archaeopteryx كان ديناصوراً طائراً له أهمية قليلة فيما يتعلق بصحة أو قبول نظرية التطور. حتى لو لم يتم العثور على الحلقة المفقودة، فإن نظرية التطور لن تتأثر ... لنفترض أننا لم نجد الأحفورة بعد؛ فهذا يدل على أن كل الأشكال الوسيطة قد فقدت وتشتت في الطبيعة. دعنا نقول أن كل أحفورة هي خدعة! حتى هذا لن يؤثر على نظرية التطور، لأن الأحافير، والأركيوبتركس، والأشكال الانتقالية هي ضرورية فقط لتفسير العملية» (١).

وبعبارة أخرى، يقول هذا الكاتب أنه «حتى لو لم نجد بقايا الأحفورة، فإنه يجب أن يبقى إيماننا بالتطور». وبالرغم أن داروين في هذا الأمر كان لديه معيارا هاما لصحة نظريته، إلا أن هذا الكاتب وضعه جانبا وحافظ على اعتقاده في التطور، على أي حال، هذا يثبت أن الداروينية اعتقاد دوغماتي لا يعتبر المعايير العلمية.

الاستبداد الفكري

الكلمات المقتبسة المذكورة بالأعلى من كلام التطوريين تبدو أنها وضعت في مرتبة وهمية فوق جميع أتباع الديانات الأخرى. وفقا لتفكيرهم المشوه، فإن التطور هو «الحقيقة الموضوعية» الوحيدة، وينادي التطوريون، بدافع من هذا الوهم، الديانات الأخرى أن تخضع إلى فهم العالم التطوري. ولو قبلت الديانات الأخرى التطور ونظرياته المقترحة، فإنه سيسمح بوجودها باعتبارها «مذاهب أخلاقية». وأحد

(1) Umit Sayin, «Uçtu Uçtu Dinozor Uçtu» («The Dinosaur is Just About to Fly»), Bilim ve Utopya, November, 1998.

الأسماء الشهيرة في مدرسة الداروينية الحديثة، «جورج جايلورد سمبسون» (George Gaylord Simpson)، يعرب عن هذا المنهج قائلاً:

«بالطبع فإنه لا تزال توجد بعض المعتقدات الحالية، وصفت بأنها دينية ومتضمنة للعواطف الدينية، وهي بشكل قاطع لا تتوافق مع التطور، وبالتالي لا يمكن الدفاع عنها فكريا على الرغم من جاذبيتها العاطفية. لذا، فأنا أعتبرها ببداهة، لا تتطلب مناقشة، خاصة أن التطور والدين الحق متوافقان»[1].

وهذا يعني أن التطور والمذاهب «العلمية» التي تطورت منها هي التي لها الحق أن تحكم على الأديان الأخرى. حيث يندرج الدين ضمن سلطة نظرية التطور. إنها تقرر أي من الأديان والتفسيرات التي تُقبل كحقيقة. ووفقاً لهذه الطريقة المتحيزة في التفكير، فإن الدين يمكن أن يكون فقط تحت مرجعية تعليمية يهدف إلى تحديد معايير النشاط الأخلاقي الإنساني.

النهج الاستبدادي الذي يدفع الناس ليجبرهم على اعتقاد ما يعتقده الآخرون يتمثل في القرآن الكريم. في عبارة فرعون المصري القديم قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

هذه هي الطريقة في التفكير الشائع اليوم بين أنصار التطور. فنهجهم مشابه إلى حد كبير نهج فرعون؛ وفي حين تفرض نظرية التطور على الشعوب، فإن الأوساط العلمية تبقى تحت المراقبة مع تقديسهم للتطور. وبسرعة يتم استبعاد أولئك الذين لا يؤمنون به. ويسمي أستاذ علم التشريح الشهير الدكتور «توماس دوايت» (Dr. Thomas Dwight)، هذا الوضع بـ«الاستبداد الفكري»:

---

(1) Darwin on Trial, p. 128.

« طغيان العصر في مسألة التطور أمر ساحق لدرجة أن غير المنتمين في نظرهم لا يعلمون شيئاً... هناك اضطهاد كما في أيام الإرهاب. كيف تتجرأ قلة قليلة من قادة العلم أن تقرر أن الحقيقة متعلقة بحالتهم الذهنية»[١].

والواقع أن التطور هو دين خرافي يمسك كتلة الجماهير تحت سيطرته، لكنه بالتأكيد ليس علماً. فلو تمت دراسة ما يقوله أنصار التطور في كتاباتهم بدقة، فسوف يسهل عليك أن تكون قادرا على قراءة ما بين السطور وإدراك أنهم يتحدثون عن دين. عندما ينظر إليه من هذا الجانب، فستجد أن ما يقوله مؤرخ العلم البارز، «مارجوري قرين» (Marjorie Grene)، حول هذا الموضوع ليس مفاجأً:

« تعتقد الداروينية بشكل أساسي أنه دين العلم ، وتفرضه على عقول الناس. وإذا كان أصل الحياة، والإنسان، وآمال الإنسان العميقة، والإنجازات الرفيعة من إرادة خارجية وغير مباشرة يكون احتمال الخطاء فيها ضئيل. يبدو كأنه حجر الزاوية للكون الطبيعي ... واليوم تلاشى كل شيء. فالتغيير، جعلها عقيدة تبشر من قبل أتباعها بتوقد وحماس ديني مع إن خصائص النظرية الداروينية لا تزال هي نفسها، والشك الذي يشعرون به، هو فقط من قبل قلة مشوشة الذهن بالإيمان العلمي»[٢].

ومع جميع العناصر الدينية التي تكون في خطاب الداروينيين، إلا إنهم لا يزالون يزعمون فرضية النظرية العلمية، وحفزوا الناس على قبولها كحقيقة، بصرف النظر عن أنه لا يوجد أي دليل علمي يدعمها، فإن

---

(1) Why Be An Ape...? www.picknowl.com.au/homepages/rlister/sermons/ape/ape.htm
(2) M. Grene, Encounter, Nov., 1959, pp. 48-50.

السبب في هذا النهج العقائدي يمكن أن يكون فقط لتجنب الحقيقة: أنهم سيجدون الحق حين يتخلون عن التطور بأن الله خالق الكون وكل الكائنات الحية. وهذا لا يمكن أن يقبل من أولئك الذين يفهمون العالم من وجهة نظر مادية إلحادية.

لهذا السبب فإنه مهم للغاية أن يكون أصحاب الوعي والفكر مدركين خطر تأثير هذا الدين الخرافي على العالم، ومن ثم يتخذون موقفا لما هو حق وصواب. وأول خطوة في هذا الاتجاه هو الفهم الصحيح لعقائد الدين الوثني غير العقلاني. وبعد ذلك، تقدم حقيقة الخلق مع البرهان الناصع مما يجعل هذه الخرافة واهنة، كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨][1].

---

(١) يتضح أن التعصب إحدى الركائز الأساسية في الداروينية، لذا لا نستغرب أن يمتنع الداروينيون عن الامتثال للحق، فالحوار مع الدارويني لا يكفي بل لابد من دعوته أولاً للتجرد للحق، وهذا هو المنهج الإسلامي حين يخاطب الكفار أن يبين لهم أن المانع لهم من اتباع الحق ليس عدم وجود الدليل الدال على الحق؛ ولكن المانع هو التعصب الأعمى، لذلك دعا الإسلام إلى أن يستعمل المرء عقله ويتفكر في آيات الله الكثيرة قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠] فالمقلد لآبائه وقومه دون وعي ودون تأمل لن يدرك الحق قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠] وهذه أزمة كثير من الناس أنهم يلغون شخصياتهم، ويعطلون ملكات فكرهم فهم كما قال تعالى ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

. . . .

= المنهج الإسلامي في باب الاعتقاد كان صارماً وواضحاً، يعتمد على الدليل الذي لا ريب فيه قال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١]. قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨] فالإنسان لا يبني عقيدته على أوهام وأباطيل لا أصل لها، وديدن الداروينيين حين تسألهم عن البرهان الدال على «النشوء والترقي» يقول لك، العلماء يقولون ذلك. وما الذي يثبت قول العلماء؟ قالوا: الأحافير الانتقالية. وهل وجدت الأحافير الانتقالية التي تثبت انتقال القرد إلى إنسان. قالوا: لا. إذن، فلماذا تؤمنون بشيء لم يثبت. قالوا: هكذا وجدنا علمائنا. فيصدق فيهم قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]

الفكر الغربي اليوم يعيش نزوعاً حاداً نحو المادية فهو لا يريد أن يؤمن إلا بالحس، ولكن في نظرية داروين ألغى منهجه المادي تماماً؛ بل ألغى عقله وتفكيره، فالدارويني يتحتم عليه أن يؤمن بغيبيات كثيرة لا برهان لها كي يأخذ بالداروينية، فهو يؤمن أن المخلوقات جميعها كان بدايتها خلية واحدة، وهذا غيب. ويؤمن أن الكائنات الحية تظهر من مواد غير حية، وهذا غيب. الخ النظرية كلها مبنية على الإيمان بالغيب الذي لا وجود له. فالعقل الغربي المادي ليس مادياً في إيمانه بنظرية داروين؛ بل ترك المادية جانباً وترك العلم في الجانب الآخر وذهب ليعتقد بهذه النظرية كي لا يكون هناك أي سلطة عليا عليه، فهم يرون أنه لم يعد لله حاجة كما قال الدارويني «جوليان هكسلي»: «بعد أن ارتقى الإنسان سلم التطور إلى قمته وصار قوياً وبإمكانه السيطرة على الطبيعة، لم يعد بحاجة إلى الله ليعبده ويعينه كما كان يفعل الأوائل أيام ضعفهم». وهم يصرحون بأنهم لا يملكون دليلاً على نظريتهم ولكنهم لا يريدون الإيمان بالله تعالى، يقول «آرثر كيت» الدارويني المتعصب: «إن نظرية النشوء والارتقاء لا زالت بدون براهين وستظل كذلك، والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر، وهذا غير وارد على الإطلاق». إنه الكبر والجهل، والحقيقة أن العقل الغربي حين أزاح فكرة الألوهية من فكره سقط أسيراً تحت سطوة سلطة الهوى والرغبات والشهوات ففقد كثيراً من المعاني الإنسانية. (المترجم)

«أصبح من المعتاد أن تقيد بداية هذه النظرية لتشارلز داروين وأسلافه المباشرين، مع إنه يمكن تتبع الشكل البدائي لهذه الفكرة لتعود إلى بدايات التاريخ المكتوب. في الواقع، الاعتقاد أن الحياة تعود أصولها إلى مادة أساسية واحدة هو أمر واسع الانتشار بين مختلف شعوب العالم، البدائية أو المتحضرة، ويمكن أن يعتبر هذا الأمر واحد من الموضوعات العالمية القليلة في تاريخ الأفكار».

(«إرنست ابل» (Ernest. Abel)، المشاهدات القديمة عن أصل الحياة ، صحيفة جامعة فيرلي ديكنسون) ، ١٩٧٣، ص ١٥.)

لو سئل أي شخص، «ما الدين»؟ ربما يجيب أن الدين يشمل الشرائع السماوية التي تهدي الإنسان إلى منهج الله تعالى وللخير المطلق. ولكن هذا التعريف لا ينطبق على العديد من الأديان في عالم اليوم. ويمكن تقسيم الأمر إلى مجموعتين رئيستين: تلك الأديان التوحيدية كالإسلام والمسيحية واليهودية والتي تقوم على الوحي من الله للبشرية من خلال الأنبياء، والأديان الخرافية التي ابتدعها البشر والتي ليست سوى عدد قليل من حكايات العجائز.

تدعو الأديان السماوية إلى التوحيد والإيمان بإله واحد، والإيمان برسله وكتبه المقدسة واليوم الآخر والمصير إما إلى الجنة أو النار. على النقيض من ذلك، الأديان الخرافية، تنفر الناس من الحق، وتجرهم إلى الطوطمية[١]، والوثنية، والطوائف المنحلة، وتملأ حياتهم بعقائد

(١) الطوطمية هي ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية وموضوع طبيعي يسمى الطوطم، والطوطم يمكن أن يكون طائر أو حيوان أو نبات أو ظاهرة طبيعية أو مظهر طبيعي مع اعتقاد الجماعة بالارتباط به روحيا وكلمة طوطم مشتقة من لغة الابجوا الأمريكية الاصلية. ويكيبيديا.

ومذاهب غريبة لا تعد ولا تحصى، وبالأسحار والعزائم، والطقوس والتقاليد. بعض أولئك الذين يعتنقون هذه الأديان يعبدون الطواطم، وآخرون يعبدون الشمس؛ وبعضهم يؤمن بالغرائب، وبعضهم يؤدي طقوساً أمام الأصنام المصنوعة من الحجر أو الخشب، وتقديم الهدايا لاسترضائهم رجاء أن ينالوا النفع منهم. عندما يبرق البرق، فإنهم يفترضون أن واحداً من الآلهة غاضب. وحينما تمطر السماء يعتقدون أن الإله يبكي. ويسمي القرآن هذا الشخص الذي يعتقد مثل هذه الأشياء مشرك، أي: الشخص الذي يشرك ليساوي الله مع خلقه؛ وفي الأدب الغربي يُسمى وثني. مثل هؤلاء الناس ليس للعقل والوعي والمنطق أو حقائق العالم مكان في حياتهم.

والتفسيرات التي يقدمونها عن تشكل الحياة ووجود الكائنات الحية هو امتداد لنفس المنهج الجاهلي. وقديماً كان يعتقد أن الكون وكل الكائنات الحية تكونت من الهواء والماء والنار، أو أنها جاءت من الفضاء الخارجي. وكان هناك اعتقاد شائع آخر هو أن الكون كان وجوده أزلي، وأنه سيبقى في الوجود للأبد. وتؤكد الديانات الوثنية أن الكون أوجد في الوجود من قبل آلهة الخشب والحجر التي يعبدونها. وبناء على هذا الاعتقاد الضال، فإن كل إله خلق قطعة من الكون، فإنه يحكم على الجزء الذي أوجده. فإله يحكم السماء، وآخر يحكم البحر، وآخر الأرض والبشر.

تظهر دراسة الأديان المقارنة أن عددا كبيرا من الأديان الخرافية تأثرت من بعضها، ويمكن الكشف عن كثير من أوجه التشابه في معتقداتهم ومذاهبهم. والديانات الوثنية القديمة في اليونان وبلاد ما بين النهرين شكلت أساساً لكثير من الديانات الحديثة التي تبنت معتقداتها ومذاهبها. وإحدى الأديان الخرافية التي انبثقت منها هو دين الداروينية.

هناك عديد من أوجه التشابه بين الداروينية والأديان الخرافية الأخرى فيما يتعلق بفهمهم لتشكل الكون والكائنات الحية وفي معتقداتهم ومذاهبهم بشكل عام. وعلى عكس ما يعتقده عدد كبير من الناس، لم تؤسس الداروينية على نظرية علمية ثابتة تستند على أسس حقيقية وملحوظات وتجارب؛ بل مجرد محاولة عقلانية بُنيت على أسس غير علمية لتفسر الكون. في سياق هذا الكتاب سيتم مقارنة الداروينية مع أديان أخرى صنعها الإنسان وذلك فيما يتعلق بأصولها، ومؤسسها، وكتابها المقدس، وفهمها للعالم، والأنشطة التبشيرية لها[١].

---

(١) الدين هو المعتقد، فالدين عقائد يعتقدها المرء، فما يعتقده المرء اعتقاداً جازماً لا يتطرق إليه الشك فهو دين، لأن الدين في أساسه مبني على الاعتقاد. فالاعتقاد يحدد طبيعة العلاقة مع الله تعالى ومع الناس ومع الموجودات، فمن اعتقد أن الله خلق الإنسان فسيخضع ويذل وينكسر لله تعالى، ومن اعتقد أن الطبيعة هي التي خلقت الإنسان فسيخضع للطبيعة ويذل لها.

ووفق اعتقاد المرء تكون الغايات، فمن اعتقد أن الله هو الخالق فسيبحث عن الغاية التي من أجلها خلق الله تعالى العباد، ومن اعتقد أن الصدفة العشوائية هي التي خلقته فلن يبحث عن علة أو غاية من خلقه؛ لأن الصدفةلا إرادة لها. فمثلاً يعتقد دوكينز الدارويني الملحد أن الناس الذين يعتقدون أن الحياة أنشئت لغاية ليس فقط مخطئون، بل هم جاهلون: «فهم أميون علميا»، فنحن نؤمن أننا موجودون من أجل هدف أسمى. فالقراءة العلمية ليس فيها سبب» لماذا «نحن موجودون، ولكننا نحن هكذا وجدنا كحدث تاريخي. ويقول دوكنز أيضاً: لا يوجد أي دليل يؤيد الإيمان بالله، وأنه في الوقت الحاضر المتعلمون الأفضل هم الذين ينكرون الله. فالرسالة الرئيسة من الكتابات الضخمة للدارويني ريتشارد دوكنز هي: أنه ليس هناك أي تصميم، ولا أي غاية، ولا خير ولا شر، ولا شيء سوى اللامبالاة العبثية»

انظر http://www.icr.org/article/effect-darwinism-morality-christianity/

ومن اعتقد أن الله عز وجل هو الخالق فستكون لديه قيم اخلاقية لأن الله خلقه لغاية، بينما من اعتقد أن الصدفة أوجدته فلن يبحث عن القيم الأخلاقية لأن الخالق (الصدفة) ليس لديه قيم أخلاقية ولا يعرفها.

= ومن اعتقد أن الله سبحانه هو الخالق فسيسعى لمعرفة الخالق كي يحقق مرضاة خالقه، ومن اعتقد أن الصدفة أوجدته فلن يسعى لمعرفة الصدفة لأنه ليس للصدفة وجود، وسيرى كل أحداث الكون تجري وفق نظام عشوائي لأن الصدفة لا تعرف النظام والدقة.

ومن اعتقد أن الله تعالى خلقه فسيعمل صالحا لأنه يرجو لقاء الله تعالى قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠]، وأما من اعتقد أن الصدفة خلقته فلن يبالي عمل صالحاً أو سيئاً لأنه لا يرجو لقاء خالقه.

ومن اعتقد أن الله عز وجل خلقه فسيبحث عن المنهج الرباني الذي رسمه له الخالق، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢] بينما من اعتقد أن الصدفة خلقته فسيعيش هملاً لا منهج له في هذه الحياة إلا ما يمليه عليه هواه.

وشأن الإنسان في الفلسفة الطبيعية، كشأن بقية الكائنات الأخرى حيث يرتبط بالجانب المادي ، فالأشياء المادية هي أساس تشكل الكون التي يتركب منها الإنسان، فبالإضافة إلى قانون التطور العام الذي قال به انكسمندرس وكذلك قال به أمبادوقليس ثم نادى بهذا انكساجوراس أن التطور قانون يحكم الكائنات العضوية بما فيها الإنسان، نجد ديموقريطس يقول بالتولد الذاتي للإنسان من الطين بلا قصد ولا غاية، فالحياة ظهرت هكذا تلقائياً. والقول بتولد الكائن الحي من غير الحي يعود إلى الأسطورة المصرية القديمة (ايزيس وأوزوريس) حيث كانوا يعتقدون بتولد الضفادع والديدان من طمى النمل. وهذه الآراء تمثل البواكير والمقدمات الأولى لنظرية التطور التي نادى بها تشارلز داروين. (المترجم)

لم يكن أصل الداروينية بالنظرية والملحوظات والأبحاث التي أنشأها تشارلز داروين وغيره من العلماء في القرن التاسع عشر. بل يعود أصلها بوقت كثير إلى الفلسفات المادية السابقة. المعتقدات الداروينية وُجدت أولا منذ بضعة آلاف من السنين في الديانات الشركية والمادية من اليونان وبلاد السومارين. ولذلك، لم يكن تشارلز داروين أول شخص وضع فكرة التطور؛ هو كان باحثاً هاوياً تتبع الخطوط العريضة لهذا الاعتقاد الأساسي، وقدم نموذجا لعقائده، ثم لاحقا أسس النظرية.

تشكل الوثنية في نقوش السومارين، التي تنكر الله وتؤكد على أن الكائنات الحية جاءت للوجود من خلال عملية تطورية، العمود الفقري للدين الدارويني[(١)]. وعندما تم فحص النقوش السومرية، كشفت عن وجود أسطورة تشير إلى أن البداية كانت فوضى مائي خرج منها إلهان: لهمو Lahmu ولاهامو Lahamu. وبناء على هذا الاعتقاد، فإن الإلهين خلقا أنفسهما أولا ، وتطورا في وقت لاحق، وجلبا مواد مادية وكائنات حية إلى حيز الوجود. وبعبارة أخرى، ظهرت الحياة كلها في لحظة من والفوضى المائي وعديم الحياة. واعتقاد التطورين أن الكائنات الحية تشكلت لأول مرة من مادة غير حية لديها كثير من القواسم المشتركة كاعتقاد السومارين بأن الكون نشأ من خلال عملية تطورية.

وحين دراسة الديانة المصرية القديمة، وجدت نفس المعتقدات. «وقيل إن الثعابين والضفادع والديدان والفئران خُلقت من الطين الذي أودعته فيضان النيل»[(٢)]. وبعبارة أخرى، تنكر وجود الخالق، ويعتقد

(1) Dr. Kenneth Cumming, «The Collapse of the Theory of Evolution, the Fact of Creation,» conference speech, April 4, 1998.
(2) Osman Gürel, «Yasamin Kokeni» («The Roots of Life»), Pan Yayincilik, October, 1999, p. 4.

المصريون أيضا أن الكائنات الحية خرجت من الطين بشكل عشوائي. وتتضمن أساطير الخلق لكل من المصريين والبابليين مفهوم «البحر البدائي الذي نشأت منه الأرض والحياة»[1].

إنه من الخطأ أن نعتقد مع ضبابية التاريخ ودمار الحضارات القديمة أن هذا المفهوم قد اختفى. فلا يزال يحتفظ التطوريون إلى اليوم بالفكرة ذاتها. فلديهم اعتقاد أن أولاً كان هناك البحر والفوضى المائي، أو كما يسمونها، «حساء بدائي». وحسب نظرية التطور، جاءت قبل أربعة بلايين سنة بعض العناصر الكيميائية غير الحية في الغلاف الجوي للأرض البدائية والتي هي ضرورية لتطور الحياة، مثل الكربون والفوسفور، وعن طريق الصدفة جاءت معا في الماء تحت ظروف مناسبة وبنسب صحيحة. في هذه الأثناء كانت هناك عواصف برقية وزلازل، فكانت اللبنة الأولى من الحياة، الأحماض الأمينية، حيث جاءت إلى حيز الوجود. وبنفس العملية أصبحت هذه الأحماض الأمينية بروتينات، والبروتينات شكلت الخلايا، ومن خلال استمرار هذه السلسلة من الأحداث العشوائية، جاء الإنسان أخيرا إلى الوجود.

والادعاء أنه يمكن للمادة عديمة الحياة أن تتجمع لتشكل الحياة لم يثبت بأي ملاحظة أو تجربة. إنه ادعاء خارج المفهوم العلمي. كل خلية حية تأتي إلى حيز الوجود من انقسام خلية حية أخرى. ولا أحد في العالم كله، حتى في أكبر المختبرات تقدمًا، نجح في عمل خلايا حية من مواد غير حية، مما يدل على أن الخلية الأولى تم إنشائها بكل تأكيد بإرادة واعية.

الهندوسية بطقوسها المعقدة ومذاهبها الوثنية، لها أتباع كُثر في جنوب آسيا، تأسست أيضا على اعتقاد بأن جميع الكائنات الحية ظهرت من

(1) http://buglady.clc.uc.edu/ biology/bio106/earlymod.htm

المحيطات. وقد تم شرح هذا الاعتقاد بالتفصيل في كتبهم المقدسة الريغ فيدا Rig Veda وأثروا فيدا Veda Atharva التي توضح المذاهب الهندوسية مع قصص من شخصيات أسطورية. والهندوسية ترفض فكرة وجود الخالق. وفقا لفلسفتها، فإن الكون برمته تطور من كرة ضخمة، مثل كتلة الجوهر المادي، براكريتي[١] prakriti. كل شيء، سواء كان حياً أو جامداً ، تطور من هذه المادة البدائية. وفي نهاية كل فترة كونية يتحلل كل شيء إلى عناصره الأصلية، إلى براكريتي prakriti، وبعد ذلك تبدأ عملية تطورية كاملة مرة أخرى[٢]. وهكذا يتم إصلاح الكون من مادة أولية غير حية.

إحدى أكبر المآزق في دين الداروينية هي مسألة كيف جاءت الكائنات الحية الأولى إلى حيز الوجود. يفضل علماء التطور بشكل عام تجنب هذا السؤال لأن الإجابة الأكثر صلابة التي يمكن أن يقدموها لا تختلف عن إجابة الأديان السابقة منذ قرون مضت. وخلال الفترة التي تطورت فيها الداروينية، سادت اعتقدات خاطئة حول تشكيل الكائنات الحية؛ فالذباب جاء من العرق، والضفادع من الطين، والنمل من السكر.

واحدة من هذه المعتقدات التي لا معنى لها هي اعتقاد «المسخ الأمل» - أغرب نظرية في تاريخ التطور. يرجع هذا الاعتقاد إلى أنه لم يتم العثور على الحلقة المفقودة، وتحت قدر كبير من الضغط قرر بعض علماء التطور أنه لا حاجة لأشكال انتقالية لأن الانتقال من نوع إلى آخر قد حدث فجأة. وبالتالي، جاءت نظرية «المسخ الأمل». وفقا لهذه النظرية، تشكل الكائنات الحية لا يختلف عن الادعاء بأن النمل جاءت

---

(١) في الهندوسية تعني الطبيعة

(2) A Reasoned Look at Asian Religions, pp. 87-88; World's Religions, p. 108.

من السكر. وظهر أول الطيور فجأة من بيضة الزواحف. ولاحقاً وبنفس الطريقة، جاء طائر آخر عن طريق الصدفة من بويضة أخرى. وجاء هذان الطائران معا، وشكلا عائلة الطيور. وهناك نظرية مشابهة، اقترحها تشارلز داروين، هو أن الدببة التي أمضت كثيرا من الوقت في الماء تغيرت مع مرور الزمن إلى حيتان. ومع ذلك، فالحقائق العلمية اليوم تبين بجلاء كيف أن هذا الادعاء غير علمي وخادع[1].

(١) لمزيد من التفصيل، انظر لهارون يحي كتاب «خديعة التطور: انهيار العلمية الداروينية وخلفياتها الأيديولوجية» وكتاب «دحض الداروينية: كيف نظرية التطور انهارت في ضوء المعارف الحديثة».

من الأديان الملائمة مع العقلية التطورية هي الكونفوشيوسية والطاوية[١] والبوذية. فهي كالديانات الوثنية الأخرى، والبوذية ترفض مفهوم الخالق، معتقدة أن الكون لم يخلق وأن تطوره أزلي[٢].

كل هذه المعتقدات تتوازى بشكل لافت للنظر مع دين الداروينية: إنكار الخالق، والاعتقاد أن الماء كان مضمون المادة الأولية التي جلبت الكائنات الحية إلى حيز الوجود، والاعتقاد بأن الكائنات الحية تطورت من مادة غير حية وارتقت لتشكل الأنواع الحية الأخرى، والاعتقاد أنهم لم يتشكلوا بتصميم ذكي ولكن عن طريق الصدفة العشوائية.

اليوم، لا يمكن لأي عالم أن يدافع بطريقة موضوعية عن قائمة المعتقدات المذكورة آنفاً لأن العلم قد أثبت أن الكائنات الحية تم إنشائها وفقاً لتصميم رائع مع تخطيط حكيم. وأحد أبرز الأسماء التي تزداد انتشارا في نظرية «التصميم الذكي» هو عالم الكيمياء الحيوية الأمريكي، «مايكل جي بيهي» (Michael J. Behe)، الذي قال:

> «المعضلة هي أنه في حين وُصفت إحدى جانب القضية بالتصميم الذكي، فالجانب الآخر يجب أن يُسمى الله»[٣].

والحقيقة أن الفكر التطوري لا يمكن أن يقبل أبداً أن الله موجود، وأنه خلق الكون برمته لغاية. وفي عدد من آيات القرآن الكريم، يدعو الله الإنسان للتفكر في الأشياء التي خلقها الله:

---

(١) الطاوية هي عقيدة صينية تعتبر الطاوية ثاني اكبر عقيدة تأثيرا على المجتمع الصيني بعد الكونفشيوسية ما تزال حية إلى اليوم، ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، وهي عبارة عن مجموعة مبادئ، تقوم جوهر فكرتها على العودة إلى الحياة الطبيعية والوقوف موقفاً سلبياً من الحضارة والمدنية.

(2) The Long War Against God, pp. 220-224.

(3)Darwin's Black Box, pp. 232-233.

قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ
زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا
فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا
لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ [ق: ٦ – ١١]

إن العلماء الذين يصغون لضمائرهم ويفرون من إطار العقل العقائدي الذي ينكر الله؛ وحين ينظرون فيما حولهم من أدلة الخلق التي لا تعد ولا تحصى سيقبلون بسهولة وجود الخالق. ولكن الداروينيين، الذين لم يتمكنوا من الابتعاد عن هذه الطريقة في التفكير، مضوا في تكريم معتقدات غريبة من الثقافات الوثنية؛ بل وحاولوا تقديمها على أنها أساس للتفكير العلمي والعقلاني.

الأفكار الداروينية قد كتبها سابقاً الفلاسفة اليونانيون الميلسيون الذين ليست لديهم معرفة بقوانين الفيزياء والكيمياء أو الأحياء. كانَ أحد أهم اثباتات هؤلاء الفلاسفة، الذين من ضمنهم طاليس، واناكسيماندر، وإمبيدوكليس، أن الكائنات الحية (الإنسان والحيوانات والنباتات) ولدت تلقائياً من عناصر غير حية مثل الهواء والنار والماء. وحسب هذه النظرية، جاءت الكائنات الحية الأولى إلى حيز الوجود فجأة وبشكل عفوي في الماء، وبعد برهة من الزمن تركت بعض المخلوقات الماء وتكيفت في العيش على اليابسة.

وكان أول هؤلاء الفلاسفة الميلسين «طاليس» (Thales). الذي عاش في مدينة ساحلية وقضى وقتاً طويلاً في مصر، وهناك تأثر بنهر النيل حيث أدرك أهميته في حياة القانطين هناك. أصبح لديه هاجساً بفكرة أن الكائنات الحية يمكن أن تولد نفسها من الماء، والاستنتاج الذي توصل إليه كان باستخدام الاستدلال والمنطق البسيط دون استخدام التجربة أو الملاحظة العلمية. ثم لاحقاً، أنشأ فلاسفة آخرون من الميلِسين نظريات على أساس المنطق نفسه.

بعد طاليس جاء تلميذه «أناكسيماندر» (Anaximander)، وكان المفكر الأكثر أهمية إذ ساهم في سجلات الفكر الغربي بمذهبين ماديين مهمين. الأول هو أن الكون أزلي الوجود وسيظل موجوداً إلى الأبد. والثاني والتي بدأ في التبلور في زمن طاليس هي: أن الكائنات الحية تطورت من بعضها بعض. حتى أن اناكسيماندر كتب قصيدة بعنوان «في الطبيعة»، وهو أول عمل أدبي يحتوي على نظرية التطور. في هذه القصيدة كتب أن المخلوقات برزت من الوحل الذي جففته الشمس. افترض أن الحيوانات الأولية كانت مغطاة بالقشور الشائكة وقد عاشت في البحار.

ثم تطورت هذه المخلوقات الشبيهة بالأسماك، وانتقلت إلى اليابسة، وألقت أغطيتها القشرية، ثم أصبحت في نهاية المطاف إنساناً[١]. تشرح كتب الفلسفة كيف شكل اناكسيماندر الأساس لنظرية التطور:

«نجد أن اناكسيماندر، من الميليسين (٦١١-٥٤٦ قبل الميلاد)، قدم الفكرة التطورية التقليدية، وكانت هذه الفكرة أمر شائع جدا في عصره، أن الحياة تطورت لأول مرة من نوع من الحساء قبل الحيوي، وساعدتها أشعة الشمس قليلا. واعتقد أن أول الحيوانات تطورت من وحل البحر الذي تبخر من أشعة الشمس. واعتقد أيضاً أن البشر انحدروا من الأسماك»[٢].

ونلقى تفسيرا مشابها لاناكسيماندر في كتاب «أصل الأنواع» لتشارلز داروين. فلا يوجد فرق في الأساس بين نظرية التطور المقترحة هناك (مع ادعائها الزائف للعلمية) ورواية الفلاسفة المليسيين الذين عاشوا في ثقافة اغريقية وثنية قديمة.

أهم عنصر في نظرية داروين، مفهوم «الانتقاء الطبيعي»، ومع هذا فهو أيضا من الجذور اليونانية القديمة. فرضية الانتقاء الطبيعي التي بسبب الصراع بين الأنواع من أجل البقاء تعود لأول مرة لعمل الفيلسوف اليوناني «هيراقليطس» (Heraclitus). ووفقا لأطروحة هيراقليطس، هناك صراع دائم بين الكائنات الحية. وهذا هو أصل نظرية داروين في الانتقاء الطبيعي قبل ٢٥٠٠ سنة.

واعتقد «إمبيدوكليس» (Empedocles) (٤٩٥-٤٣٥ قبل الميلاد)، الذي عاش في وقت لاحق من طاليس وأناكسيماندر، أن كل شيء موجود على الأرض جاء إلى حيز الوجود من خلال امتزاجات عشوائية بنسب

---

(1) http://biology.clc.uc.edu/courses/ bio106/earlymod.htm
(2) www.thedarwinpapers.com/oldsite/ Number2/Darwin2Html.htm

متفاوتة من الماء والهواء والنار والتراب. ويذكر الكاتب «ديفيد اسكجرلاند» (David Skjaerlund)، الذي بحث في الجذور الفلسفية لنظرية التطور في كتابه «**أصول التطور الفلسفية**»، أن إمبيدوكليس لديه بعض الأفكار المثيرة للاهتمام. وقال أنه «يعتقد أن الصدفة وحدها كانت مسؤولة عن العملية برمتها، وأن الإنسان تطور من الحياة النباتية السابقة»[١]. يشكل مفهوم الصدفة في الديانات القديمة الاعتقاد الأساسي وهو أيضا أهم معبود في الدين الدارويني.

وقد ساهم الفيلسوف اليوناني الآخر «ديموقريطس» (Democritus) في نظرية التطور، وفي تلك الفلسفات المادية التي تتخذ النظرية أساساً لها. وفقا لديموقريطس، لا شيء يوجد بدون المادة، ويتكون الكون من جزيئات صغيرة تسمى الذرات، والذرات أزلية الوجود - غير مخلوقة وغير قابلة للتدمير. ومن هنا، فالمادة كانت دائما موجودة وستبقى في الوجود إلى الأبد. ورفض ديموقريطس أي نوع من الإيمان الروحي وادعى أن القيم الروحية، وحتى الأخلاق، يمكن اختزالها في الذرات. وقد سُمي ديموقريطس أول فيلسوف مادي حقيقي؛ فعنده الكون ليس له غاية، وكل شيء يتحرك وفقا لضرورة عمياء، وجاء كل شيء إلى حيز الوجود بشكل عفوي بذاته. ويُذكّر المرء مرة أخرى بالآلهة الباطلة للتطورين المعاصرين - الذرات غير الواعية.

تشكل الذرات غير الواعية الكون - العالم، والهواء الذي نتنفسه، وما نأكله ونشربه، وأجسادنا - باختصار، كل شيء نتصوره، له دور رئيسي في النظرية الداروينية. ومن المعروف أن الكائن الحي، وبما في ذلك الإنسان، يتكون من ذرات الكربون والهيدروجين والأكسجين والكالسيوم والمغنيسيوم والحديد وغيرها من العناصر. وتزعم الداروينية

(1) www.forerunner.com/forerunner/ X0742_Philosophical_origin.html

أن هذه الذرات تجمعت مع بعضها بشكل عشوائي عن طريق الصدفة. وبناء على هذا الادعاء السخيف، هذه الذرات المختلفة التي تم تشكيلها في وقت لاحق بدافع غير معروف، جاءت مع بعض لتشكل النجوم والكواكب وجميع الأجرام السماوية. وبعد فترة من الزمن جاءت الذرات معا مرة أخرى عن طريق الصدفة لتشكل خلية حية بتركيب معقد للغاية. ثم خضعت هذه الخلية الحية لعملية من التطور لتشكل الكائنات الحية بأنظمة فائقة الدقة، وأخيرا، تكون الإنسان ذا وعي بدرجة عالية من التطور. بالإضافة، للإنسان الذي هو برمته نتيجة الصدفة، وبالاستعانة بالأدوات المتقدمة التي وضعتها الصدفة (مثل المجهر الإلكتروني)، اكتشفت الذرات التي من خلالها تم تشكيله! وتم تمرير هذا الأمر على أنه فرضية علمية!

وهكذا كأمر واقع، تقبل نظرية التطور بأن كل ذرة هي إله ذو قصد وقوة خلاقة. ولكن الذرات التي شكلت الوعي والذكاء الإنساني هي نفسها دون وعي أو إرادة. ويدعي التطوريون أن هذه الذرات غير الحية جاءت معا وخلقت الإنسان، ثم هذا المزيج من الذرات قرر أن يذهب إلى الجامعة ليحصل على وظيفة. مع إن كل تجربة وملاحظة قد أظهرت أنه بدون تنظيم واعي، فالمادة غير قادرة على تنظيم نفسها أبدا؛ بل إنها تسير نحو الاضطراب والفوضى. لهذا فمن الواضح أنه لا يوجد شيء في الكون نتيجة الصدفة ولكنه جاء إلى حيز الوجود عن طريق كائن واعي له إرادة وعلم وذكاء. وهذه هي صفات الله رب السماوات والأرض.

ومع الفلاسفة المذكورين سابقـًا، كان هناك مساهما آخر له أهمية في دين الداروينية وهو الفيلسوف اليوناني «أرسطو» (Aristotle). وحسب أرسطو، فإنه يمكن ترتيب الأنواع في تسلسل هرمي من الأبسط إلى الأكثر تعقيدا وتراصفها في شكل خطي كخطوات في سلم؛ وسمى هذه الفرضية

«سلم الطبيعة» Scala Naturae. وأثرت فكرة أرسطو بعمق في الفكر الغربي حتى القرن الثامن عشر، وأصبحت فيما بعد أصل الاعتقاد في السلسلة الكبرى للوجود، والتي بدورها أصبحت نظرية التطور.

اعتقاد آخر من الثقافات الوثنية القديمة :
السلسلة الكبرى للوجود

الفكرة الأساسية للداروينية أن كل كائن حي تطور من المادة، كانت قد تلقت هذه الفكرة أيضاً عن طريق مفهوم السلسلة الكبرى للوجود التي قال بها الفيلسوف اليوناني أرسطو. ولا يزال هذا الاعتقاد التطوري يحظى بشعبية لدى أولئك الفلاسفة الذين ينكرون وجود الله.

الفكرة يونانية المنشأ حيث أن كل كائن حي أولي نتج عفوياً من تلقاء نفسه من الماء، ومع مرور الزمن تشكلت عقيدة السلسلة الكبرى للوجود. وفقا لسلم الطبيعة الذي تم قبوله على مدار ٢٠٠٠سنة، تشكل الكائن الحي بتطوير نفسه من المعادن إلى المواد العضوية من الكائنات الحية للنباتات والحيوانات والإنسان، وأخيرا إلى «الآلهة». وحسب هذا الاعتقاد، تشكلت الأعضاء الجديدة بذاتها مطابقة لاحتياجات الطبيعة. في الأصل، تم اقتراح الفكرة فقط كرؤية فلسفية. وبهذا المنطق الخادع، أصبحت الكائنات الحية الصغيرة كائنات حية أكبر ثم خطوة خطوة. أصبح كل كائن حي له مكانه في السلسلة. وتؤكد أيضا أن الحجر والمعدن والماء والهواء أصبحت كائنات حية، ثم أصبحت الكائنات الحية حيوانات، وأصبحت الحيوانات بشراً دون أي انقطاع في هذه العملية. وسبب قبول هذا الاعتقاد (الذي لا يوجد له أساس علمي، ويتناقض مع كل الحقائق العلمية، وإنما يستند فقط على المنطق المجرد) أنه منذ فترة طويلة لم يعد مسألة علمية بل أيديولوجية. وما يسمح لهذا الاعتقاد الخاطئ أن يبقى هو الاتجاه العقائدي الذي ينكر وجود الله. هذا الاعتقاد يتغير اسمه بشكل دوري، وتم إعداده ليصبح أخيرا يُعرف باسم «نظرية التطور».

ولكن يجب أن يُكرر: الترتيب التسلسلي المزعوم لا يأخذ العلم في الاعتبار. فلا يوجد أي اعتبار للخصائص الفيزيائية للكائنات الحية أو حول كيفية مجيء الحياة إلى حيز الوجود من مواد غير حية، أو كيف المخلوقات التي تعيش في الماء استطاعت أن تتكيف على العيش في اليابسة. وتشكل الأشكال الانتقالية، التي من المفترض أن تمثل روابط التقدم بين الأنواع، وهذه واحدة من أخطر المآزق في نظرية التطور لأنها غير موجودة في السجل الأحفوري. كيف تتغير المخلوقات إلى أخرى يبقى هو اللغز الكبير لأن السلسلة هي مجرد نتاج المنطق المجرد السطحي الذي اخترعه الفلاسفة القدماء في غرفة الاجتماعات.

رفض أرسطو وجود الخالق الذي خلق كل شيء من لا شيء، وقدم بدلاً من ذلك رؤيته للآلهة بأنها تطورت من الإنسان. بهذا الاستنتاج الخاطئ أثر أرسطو إلى حد كبير على الفلاسفة الماديين اليونانيين. وتتزامن الفترة التي جاء فيها «السلم الطبيعي» في الفكر الغربي مع ظهور النهضة والنزعة الإنسانية. حيث جُلبت في بداية القرن الخامس عشر أعمال اليونانيين واللاتينيين إلى أوروبا ودخلت في الفكر والفلسفة الغربية الحالية. وأهم هذه المفاهيم في هذه النصوص هو مفهوم المادية وإنكار وجود الخالق.

في منهج التفكير الإلحادي، أن البشر لديهم القدرة الكاملة على السيطرة على أنفسهم وعلى العالم الذي يعيشون فيه، مع إنكار أن هناك حياة أخرى بعد الموت. وبالتالي شكلت السلسلة الكبرى للوجود أساس هذا الاعتقاد القائل إن الإنسان قد جاء إلى حيز الوجود عن طريق الصدفة كنتيجة لعملية التطور، ولم تكن في الأساس سوى كتلة من المادة. وليس للقيم الأخلاقية والمشاعر الإنسانية أي أهمية. فينبغي للإنسان ببساطة أن يستمتع بكل يوم ويعيش دون شعور بالمسؤولية تجاه أحد. وقد استعيض

عن مفهوم أرسطو للألوهية، الذي هو في الجزء العلوي من السلم الطبيعي، بفكرة الإنسانية بأن الإنسان أعلى مخلوق.

كانت السلسلة الكبرى للوجود ذات شعبية كبيرة في زمن النهضة حتى القرن الثامن عشر، وبُذل كثير من الجهد للتأثير على العلماء المادين في تلك الحقبة. وكان العلماء الفرنسيون الذين كان لهم تأثير قوي على تشارلز داروين أمثال «بنوا دي ماليت» (Benoit de Maillet)، و«بيير دي ماوبيرتيوس» (Pierre de Maupertuis,)، و«كونت دي بوفون» (Comte de Buffon)، و«جان باتيست لامارك» (Jean Baptiste Lamarck)، وآخرون كانوا من الذين خصصوا الفكرة اليونانية السلسلة الكبرى للوجود. حيث بنوا أبحاثهم العلمية على هذه الرؤية التطورية. وكانت العقيدة المشتركة لهؤلاء الناس أن الأنواع الحية المختلفة لم تنشأ بشكل فردي بل جاءت إلى حيز الوجود من تلقاء نفسها خلال عملية التطور المعتمدة على الظروف الطبيعية المماثلة لنموذج داروين. لهذا السبب يمكن القول أن الفكر التطوري الحديث ولد في فرنسا.

كان التطوري الفرنسي «الكونت دي بوفون» (Comte de Buffon) واحدا من أكثر العلماء شهرة في القرن الثامن عشر. ولأكثر من خمسين عاما كان مديرا للحدائق النباتية الملكية في باريس. وقد أسس داروين كثيرا من نظريته على أعماله. ويمكن العثور على أكثر العناصر التي كان يستخدمها داروين في المجلد الرابع والأربعين في عمله «التاريخ الطبيعي».

كانت السلسلة الكبرى للوجود هي القاعدة لأنظمة التطورين كل من «دي بوفون» و«لامارك». ومؤرخ العلم الأمريكي «أولدرويد» (Oldroyd) وقد حددا علاقتهما في هذه الكلمات:

« يكشف «بوفون» عن نفسه في كتابه «التاريخ الطبيعي»، بوصفه داعية لمذهب السلسلة الكبرى للوجود، وقد تم وضع الإنسان في الجزء العلوي من السلسلة ... ويمثل اعتقاد لامارك نسخة من المذهب القديم للسلسلة الكبرى للوجود. ومع ذلك ... لم يتصور أنها بنية ثابتة جامدة. فمن خلال الصراع من أجل تلبية متطلبات البيئة، وبالاستعانة بمبدأ وراثة الخصائص المكتسبة، استطاعات الكائنات الحية العمل بافتراض طريقها نحو السلسلة - من الميكروب للإنسان، إذا جاز التعبير ... وعلاوة على ذلك، كانت تظهر مخلوقات جديدة باستمرار في الجزء السفلي من السلسلة، تنشأ من المواد غير العضوية خلال الجيل العفوي ... وينطوي صعود السلسلة على عملية مستمرة من التعقيد، وذلك بسبب ما يسمى «بقوة الحياة»[(١)].

كما يمكن للمرء أن يرى بوضوح، ما يسمى «بنظرية التطور» وهي في الحقيقة انتقالية للعصور الحديثة من أسطورة يونانية قديمة عن السلسلة الكبرى للوجود. فكان هناك تطوريون قبل داروين، وقد وجدت معظم أفكارهم وبراهينهم المعروفة في مفهوم السلسلة الكبرى للوجود. ومع «دي بوفون» و «لامارك» تم عرض السلسلة الكبرى للعالم العلمي في شكل جديد أثرت على داروين.

لقد تأثر داروين بهذه الفكرة لدرجة أنه أسس نظريته بالكامل على أساسها المنطقي. يشير «لورين إيسيل» (Loren Eiseley) في كتاب «قرن داروين»، إلى أن داروين استفاد من مفهوم القرن الثامن عشر لسلم

---

(1) Darwinian Impacts, p. 23 and p. 32.

الوجود في كتابه «أصل الأنواع» وأن الفكرة القائلة أن جميع المواد العضوية تميل حتماً إلى «التقدم نحو الكمال» يجد أصلها هناك[1].

لذلك فإن داروين لم يقترح نظرية جديدة. ما عمله لم يكن سوى إعطائها تعبيراً جديداً بلغة علمية معاصرة. واستنادا إلى بعض الملحوظات الخادعة البسيطة، فهو أعاد الدين ببراعة إلى أساطير الوثنين القدامى السومريين والإغريق. وتعززت في القرنين السابع عشر والثامن عشر مع إضافات جديدة من قبل العديد من العلماء. وفي وقت لاحق، اكتسبت النظرية من خلال كتاب داروين «أصل الأنواع»، غشاءا علمياً لتصبح أعظم كذبة في تاريخ العلم.

لا يزال التطوريون المعاصرون يعتقدون بعماء أن الإله الوهمي المسمى «الطبيعة الأم» هي التي خلقتهم، وهذا يظهر التشابه في الجهل للإغريق والسومريين الذين عبدوا آلهة وهمية خلقوها في عقولهم. ولكي نفهم كيف نشأت الأديان الباطلة السخيفة، فإنه من الضروري أن ننظر حولنا في كل شيء، في أصغر التفاصيل يظهر جمال الخلق، والتصميم البديع، والفن الراقي. فالفطرة السليمة تدرك أن هذه الدقة التي لا تشوبها شائبة لا يمكن بحال أن تأتي الى حيز الوجود عن طريق الصدفة العمياء من خلال آلهة عاجزة أو سلسلة طبيعية تبدأ بالحساء البدائي وصواعق البرق. وقد وصف القرآن هؤلاء الملحدين الذين ألغوا عقولهم بقوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١١١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ [الحجر: ١٤ – ١٥]

---

(1) Darwin's Century, p. 283.

كما هو مبين في هذه الآيات، الذين لازالوا ينكرون وجود الله يعيشون في جهل تام. وسيقبلون كل أنواع الباطل إلا الحق فإنهم سيقفون معاندين ضده. وهم لا يميلون لتصديق الحقائق العلمية المنطقية ولكن يصدقون الأوهام حيث نفوسهم الدنيئة جعلتهم يرضون بذلك. فكان الإيمان بالتطور منذ العصور القديمة نتيجة لعقلية الإلحاد. وهذه العقلية لا تزال دائماً موجودة، لأنها جزء من قدر الله تعالى. ويؤكد القرآن هذه الحقيقة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

«عند التفكير في كثير من حالات الناس الذين واصلوا الوهم لسنوات عديدة، غالباً ما تصيبني قشعريرة باردة تسري في جسدي، وأسأل نفسي عما إذا كنت قد كرست حياتي للوهم».

(رسالة تشارلز داروين إلى «تشارلز ليل» (C. Lyell) في ٢٣ نوفمبر ١٨٥٩، واستشهد بها «فرانسيس داروين» (in Francis Darwin)، حياة ورسائل تشارلز داروين The Life and Letters of Charles Darwin، المجلد الثاني، نيويورك؛ أبليتون وشركاه، ١٨٨٨، ص ٢٥.)

من الضروري لفهم دين الداروينية، أن نتخلى أولا عن بعض الأفكار السابقة. ما قرأناه حتى الآن لا يظهر حقيقة مزايا وأهداف هذا الدين؛ ولكن فقط بعض الأفكار التي تجّمع الناس تحت نفوذها. وقد أظهر الداروينيون النظرية كحقيقة علمية ثابتة كشف عنها تشارلز داروين. مع إن العلم الحديث في الآونة الأخيرة قد أبطل مزاعم الداروينية واحدة تلو الأخرى[١]. ولأنه لم يعد هناك أساس علمي لنظرية التطور، فإنها الآن تتكئ فقط على أساليب الدعاية التي يتم من خلالها فرض الفكر التطوري على الناس في هذا العصر على إنها حقيقة علمية. ولفهم كل جانب من جوانب الداروينية فمن الضروري أولا التخلص من تأثير الدعاية التطورية وكشف الحقيقة.

(١) لمزيد من التفصيل، انظر لهارون يحي كتاب «خديعة التطور: انهيار العلمية الداروينية وخلفياتها الأيديولوجية» وكتاب «دحض الداروينية: كيف نظرية التطور انهارت في ضوء المعارف الحديثة».

عندما يذكر التطور، فإن أول اسم يتبادر إلى الذهن هو «تشارلز داروين». وبغض النظر أن حقيقة هذا الاعتقاد في تطور الكائنات الحية يكمن في جذور العديد من الديانات الوثنية القديمة، فالشخص الذي جلب هذا المفهوم إلى شكله الحالي هو داروين. وإذا أراد المرء أن يتعرف على دين الداروينية، فمن المهم أن يتغلب على الأسطورة التي نمت حول داروين على مدى المئة والخمسين سنة الماضية. فقد تم تقديم «تشارلز داروين» لسنوات باعتباره رجل العلم البارع، والباحث الموضوعي. والحقيقة أنه يُذكر في دوائر أنصار التطورية بأنه «أعظم عالم» و «عبقري القرن» ويرجع ذلك في الأساس إلى الدعاية. ومع ذلك، عندما فُحصت حياة وأفكار داروين، أصبح من الواضح أن الأمر ليس كذلك.

كان داروين، على عكس ما يعتقد الجميع، لم يكن عالماً مهماً، ولا «رب الأنواع» الذي حل أسرار الطبيعة. فقد كان مؤسس هذا الدين شخصاً عادياً تلقى التعليم البروتستانتي وفشل في إكمال دراسته الطبية. كان باحثاً هاوياً عانى من كثير من الأمراض غير المشخصة، وكان قليل الكلام متجنباً المجادلات، فعقله كان مليئاً بالشكوك، وكانت لديه صعوبة في التفكير المنطقي، عاش منزوياً في عالم روحي مضطرب، في ردة فعل عاطفي على وفاة ابنته الصغيرة، فأصبح متمرداً ضد الإله والدين. وفي هذه الحالة الروحية المضطربة اقترح فرضيته والذي سيصبح لاحقا يُعرف باسم «مؤسس الإلحاد».

وقد بدأ داروين بالتبشير أولا لأسس نظريته بشكل مفصل لعلماء بارزين في مجاله العلمي من خلال المحادثات والمقالات والرسائل

الشخصية. وما تركه داروين ولم يتمه بالقدر الكافي من التفصيل تم إتمامه من قبل أتباعه، الذين واصلوا بعد ذلك في شرح النظرية.

وكتاب داروين «أصل الأنواع»، الذي حظي بمكانة رفيعة كما لو كان كتاباً مقدساً، هو في الواقع مليئ بالمآزق والتناقضات ويستند على منطق متضارب اعتمد على مجرد الاحتمالات والتخمينات. واعتبر داروين نفسه أن كتابه ليس بالقدر كتاباً علمياً ولكنه «جدل طويل». اعترف داروين بنقاط الضعف، والتناقضات، والمآزق، والصعوبات في نظريته وذلك في كتاباته ورسائله إلى أصدقائه. ففي إحدى رسائله اعترف أن هناك عيوبا خطيرة في النظرية التي أدت به إلى حافة الانتحار:

«تسأل عن كتابي، وكل ما يمكنني قوله هو أنني مستعد للانتحار. اعتقدت أنه كان مكتوباً بشكل لائق ولكن وجدت الكثير يريدون إعادة كتابته...[1]»

وفي رسالة أخرى، قال:

«أرجو أن لا تعتقد أنني أعمى لدرجة أنني لا أرى أن هناك العديد من الصعوبات الهائلة في مفاهيمي[2]».

وكانت رسائله إلى صديقه، «تشارلز ليل» (Charles Lyell)، تعبر بجلاء عن الشكوك التي يشعر بها حول نظريته:

«عند التفكير في كثير من حالات الناس الذين واصلوا الوهم لسنوات عديدة، غالباً ما تصيبني قشعريرة باردة تسري في جسدي، وأسأل نفسي عما إذا كنت قد كرست حياتي للوهم»[3].

(1) The Life and Letters of Charles Darwin, vol. II, p. 501.
(2) The Life and Letters of Charles Darwin, vol. I, p. 395.
(3) The Life and Letters of Charles Darwin, vol. II, p. 25.

وعلاوة على أن داروين كان على بينة من الأخطاء والادعاءات التي لا أساس لها في نظريته. فقد كتب:

«إنني لا أشك بأن اعتراضات كثيرة قد خطرت ببال القارئ قبل أن يصل إلى هذا الفصل من كتابي.. إن بعض الاعتراضات خطيرة لدرجة أنني حتى اليوم اضطرب وتعتريني هزة وقشعريرة كلما فكرت فيها[١]».

وفي رسالة إلى صديقه المقرّب، «آسا قريي» (Asa Gray)، عرف نظريته بالتأمل متجاوزاً المنهج العلمي:

«إنني أعي تماماً أن تكهناتي تسير تماماً خارج حدود العلم الحقيقي»[٢].

وقد أشار أيضاً بعض العلماء في وقت لاحق إلى روح داروين المتناقضة ومنطقه الخاطئ. والحقيقة أن مؤسس النظرية الذي تم تقديمها للعالم كحقيقة مطلقة واقعية؛ لديه عقلية مليئة بالتناقضات والشكوك مما يثير شكوك جدية حول الأساس الذي بنيت عليه النظرية. وكان لدى الفيزيائي الأمريكي «ليبسون» (Lipson) هذا الأمر فيقول عن مخاوف داروين:

«في قراءة كتاب «أصل الأنواع»، وجدت أن داروين كان أقل ثقة بنفسه مما كان يُمثل به الكثير. فالفصل المعنون «صعوبات النظرية» هو على سبيل المثال، يظهر شكاً ذاتياً هائلاً. وكفيزيائي، كنت مفتوناً بشكل خاص بتعليقاته ولا سيما عن كيفية تكون العين»[٣].

---

(1) The Origin of Species, 6th edition, p. 204.
(2) Charles Darwin and the Problem of Creation, p. 2.
(3) H.S. Lipson, «A Physicist's View of Darwin's Theory,» Evolution Trends in Plants, vol. 2, no. 1, 1988, p. 6

كيف وقع داروين في الحب الوهمي؟ عندما كان طفلاً، نال تعليماً دينياً مطولاً زوّده بالمعرفة عن المعتقدات والمذاهب والتاريخ الديني للحضارات القديمة. ولكن من ناحية أخرى، فقد تأثر بشكل عميق بالفكر الوضعي والفكر المادي في القرن الذي عاش فيه. وبشكل خاص فقد كان لجده، «ايراسموس داروين» (Erasmus Darwin)، التي كانت رؤيته معادية للدين تأثيراً جذرياً عليه.

كان الشاب تشارلز داروين يستمع إلى جده، ايراسموس داروين، منذ طفولته[1]. وفي الحقيقة، كان ايراسموس داروين هو أول من افترض فكرة التطور في انكلترا. كان يُعرف بالفيزيائي، وهو طبيب نفسي وشاعر وكان ذا شخصية مؤثرة مع أنه عاش حياة مظلمة، وكان له على الأقل طفلين غير شرعيين[2]. وكان ايراسموس داروين واحدا من أشهر علماء الطبيعة في انكلترا. يعتقد بالمذهب الطبيعي وأن جوهر الكون يكمن في الطبيعة التي لديها القدرة الخلاقة. في حين أن جذور هذا المذهب يعود إلى فلسفة المذهب الطبيعي الموجود في الأساطير اليونانية والسومرية القديمة، وكان [هذا المذهب] مؤيدا مهماً للمنظمة الماسونية في القرن التاسع عشر.

وقد أكد «البابا ليو الثالث عشر» (Pope Leo XIII)، زعيم العالم الكاثوليكي هذه الحقيقة في عام ١٨٨٤، في الرسالة البابوية (الجنس البشري)، الذي وجهها بشكل خاص إلى الماسونية:

«في هذه الفترة، الذي يبدو فيه أن أنصار الشر يتحدون مع بعض، ويصارعون بشراسة موحدة، التي يقودها أو يساعدهم تلك الجمعية المنظمة بشكل قوي والمنتشرة على نطاق واسع المسماة بالماسونية. لم يعد هناك أي سر لغاياتها، فهي الآن وبكل جرأة ضد الله نفسه».

واصل البابا في وصف العلاقة بين هذه المنظمة والمذهب الطبيعي:

«ويظهر بوضوح، أن هدفهم المطلق هو الإطاحة التامة لكل نظام ديني وسياسي في العالم الذي أنتجه التعليم المسيحي،

---

(1) The Evidence for Creation: Examining the Origin of Planet Earth, p. 94.
(2) The Long War Against God, p. 178.

واستبداله بالحالة الجديدة المنسجمة مع أفكارهم، التي يجب استخلاص أسسها وقوانينها من المذهب الطبيعي»[١].

الماسونيون الذين تبنوا المذهب الطبيعي كان أعظم ممثل لهم ايراسموس داروين، الذي كان واحدا من أساطين «ماسونية كيركيارد كلويننغ» (Canongate Kilwinning Masonic) في ادنبرة، اسكتلندا[٢]. وبالإضافة إلى ذلك، يبدو أنه قد شارك إلى حد ما مع أندية اليعاقبة في فرنسا، أو مع المتنورين، وكان على علاقة مع بعض المحافل الماسونية في فرنسا والذي كان واجبهم الأساسي المعارضة[٣]. علّم ايراسموس ابنه روبرت داروين (والد تشارلز) ليكون مثله، وجعله عضوا في المحافل الماسونية[٤]. أذن، فقد ورث تشارلز داروين الماسونية من أبيه وجده[٥].

---

(1) Pope Leo XIII, Humanum Genus, Encyclical on Freemasonry, promulgated on April 20, 1884. www. newadvent.org/docs/le13hg.htm
(2) Freemasonry Today, Autumn, 1999, Issue 9, p. 5.
(3) The Long War Against God, p. 198. The «Illuminati» organization established in Bavaria, Germany, in 1776 was a kind of Masonic lodge.
سرد «آدم ايزهاويت» (Adam Weishaupt) مؤسس المحفل الماسوني (الذي كان من أصل يهودي)، أهداف المنظمة بالتالي: ١) إلغاء جميع الممالك والحكومات النظامية. ٢) إلغاء الميراث الممتلكات الشخصية. ٣) إلغاء الأسرة والزواج، وإقامة نظام تعليمي شعبي للأطفال. و ٤) إلغاء جميع الديانات التوحيدية.
(See Eustace Mullins, The World Order: Our Secret Rulers, p. 5; Lewis Spence, The Encyclopedia of the Occult, p. 223.)
(4) The Long War Against God, p. 198.
(٥) القول أن داروين ماسوني يحتاج إلى دليل، وخصوصاً أنه في كثير من كتاباته لم يذكر أنه ماسوني، وكذلك لم يسجل اسمه في سجلات الماسونية، ولم يذكر أحد أنه رأى داروين في محفل ماسوني، فاتهامه أنه ماسوني يحتاج إلى دليل واضح، وكون أحد أقاربه ماسوني لا يشترط ان يكون هو ماسوني، فالأفكار لا تنتقل بالوراثة.
ولكن الأمر المحتمل، إذا لم يكن ماسونيا فإن الماسونية كان لها تأثير على حياته وذلك بسبب أن أفراد عائلته والأصدقاء والزملاء المحيطين به كانوا ماسونيين. (المترجم)

في الواقع أن جد داروين قد حدد الخطوط الرئيسة لنظرية داروين، حيث صمم أعماله الطبيعية كمرشد لداروين. وطور ايراسموس داروين المنطق الأساسي الذي أعطى الداروينية شكلها وشرحها في كتابه المعنون «معبد الطبيعة». وقد كان بمثابة تجديد للاعتقاد الوثني القديم التي جعلت للطبيعة قوة إبداعية. وفي عام ١٧٨٤ تأسست جمعية للمساعدة في نشر هذه الأفكار - المجتمع الفلسفي - والتي أصبحت بعد عقود من الزمن واحدة من أكبر واعظم المتعاطفين المؤيدين لأفكار تشارلز داروين، نظرية التطور الداروينية(١) الخاصة، والتي كان اقتراحها بداية في جزر غالاباغوس.

جاء الدين المظلم إلى الحياة في جزر غالاباغوس

تخيل زيارة الأرخبيل الأخضر النابض بالحياة في وسط المحيط. في هذه القطعة الصغيرة المنفصلة عن الأرض الرئيسة بالآف الكيلومترات حيث يوجد فيها الجمال، والتنوع الغني من النباتات والحيوانات حيث لا توجد في أي مكان آخر في العالم. ولم تواجه الكائنات الحية كثرة في تنوعها العظيم بمثل هذا المكان. فما تعتقد إن وجدت نفسك في مثل هذا المكان مع هذا المنظر الرائع الذي يبدو أمامك؟

مع هذه الألوان الرائعة، والتنوع المدهش، والحيوية الماثلة أمام ناظريك، فإنه بدون شك، سيأتيك شعورا عميقا من المتعة، وستسأل نفسك كيف جاءت كل هذه الأشياء الجميلة إلى الوجود. تستنتج من هذه القطعة الصغيرة من اليابسة في وسط المحيط التي يتم عرضها كلوحة فنية إبداعية عظيمة؛ أن كل شيء هو جزء من خلق غير عادي.

ومع ذلك، عندما رأى داروين هذا التنوع المذهل في الطبيعة، لم يكن ردة فعله مثل معظم الناس. بل بدلا من ذلك ذهب إلى أن كل كائن حي

(1) 10,000 Famous Freemasons, vol. 1, p. 285.

جاء إلى الوجود نتيجة الصدفة. ولم يعتبر أن كل واحد من هذه الكائنات خلقت بقدرة الله الأزلية. فمنطق داروين قاده في اتجاه معاكس.

واجه داروين كثيراً من الكائنات الحية حيث أن معظم الغربيين لم يسبق أن رأوا مثل هذه التي رآها في رحلته التي مكثت مدة خمس سنوات، وخصوصاً على جزر غالاباغوس. فجزر غالاباغوس هي المكان التي توجد فيها أعداد لا تحصى من أنواع الكائنات الحية التي يمكن أن يدرسها العالم. ودفع داروين في سياق رحلته (مع أنه قد جمع آلاف من الكائنات الحية وحفظها في الكحول) معظم انتباهه إلى أنواع مختلفة من العصافير. وبعد دراسة الاختلافات المادية بين مناقيرها، بدأ في تشكيل نظريته.

ما فعله داروين حقا هو أنه أقام تكهنات مبالغ فيها حول بعض الملحوظات التي كان قد أدلى بها. صحيح أنه كان بين العصافير تباين واسع بقدر ما أتاحت به الجينات؛ ولكن لا يعني هذا أن العصفور تطور من أنواع أخرى من الطيور، أو أنه يمكن أن يتطور إلى أنواع أخرى. وقد اعترف التطوريون المعاصرون أن ادعاءات داروين قد استندت على أساس الاختلاف في مناقير العصافير وهذه من الافتراضات غير العلمية المبالغ فيها[١].

(١) من المتفق عليه الآن من قبل علماء الأحياء التطوريين أن الاختلاف المسمى «التطورات الصغيرة» لا يسبب «تطورات كبيرة». أي أنها لم تقدم أي تفسير لأصل الأنواع. ويصف عالم الحفريات ونصير التطور الشهير، «روور لوين» (Rower Lewin)، ما وصل إليه في ندوة لمدة أربع أيام التي عقدت في متحف فيلد للتاريخ الطبيعي في شيكاغو عام ١٩٨٠ بهذه الكلمات: «وكان السؤال الرئيسي لمؤتمر شيكاغو إذا كانت الآليات الكامنة وراء التطورات الصغيرة هل يمكن أن يتم استقراءها لشرح ظواهر التطورات الكبيرة ... الجواب يمكن أن يقال بكل وضوح «لا»»

في الواقع، لا يمكن لعاقل قبول الاستدلالات التي أدلى بها عن أصول كل كائن حي فقط على أساس الاختلافات في مناقير العصافير. كيف يمكن لهذا أن يؤدي إلى استنتاجات حول ظهور الحيتان العملاقة والفيلة بخصائصها المتميزة، والذباب بقدراته المذهلة، والتماثل الرائع على أجنحة الفراشة، والتنوع العظيم للأسماك والقشريات والطيور والزواحف، والأهم من ذلك، الإنسان بفكره ووعيه؟

حينما يدرس العالم الحقيقي الكائنات الحية، فإن الاختلاف ليس هو الجانب الوحيد الذي يؤخذ بعين الاعتبار. بل إن الواضح أن المسألة الهامة والأساسية هو التصميم الخارق الموجود في هذه الكائنات. فعند التعامل مع العصافير، فلابد من النظر في آليات الطيران الدقيقة، والأجنحة المشيدة بشكل رائع ودقيق وتقنية مثالية. وسيكتشف خاصية الحركة الهوائية للريشة الواحدة، وهيكلها وتركيبها المرن الذي يُمكن الطائر من الطيران، وملايين من الالتواءات الصغيرة التي تمسك الريش مع بعض. وسيرى العالم الواعي بعقلية منفتحة ودون أفكار مسبقة الحقيقة واضحة جلية: هذا التصميم الذي لا خلل فيه، والجمال منقطع النظير، والتنوع الذي لا حصر له لا يمكن إلا أن يكون بفعل الخالق.

والسبب في أن داروين وأتباعه وضعوا هذا الواقع بعيدا عن الأنظار هو التعلق النفسي الشديد للفلسفة المادية، والحالة الروحية التي أدركت داروين بشكل واضح. وخير مثال على ذلك هو تعليقه على تركيب العين وريش الطاووس:

«أتذكر جيدا حين فكرت في العين أنه أصابتني برودة في كل مكان، ولكن تجاوزت هذه المرحلة من الشكوى، وأجد الآن تفاصيل صغيرة تافهة في البناء غالبا ما تجعلني غير مرتاح للغاية.

فمن ذلك رؤية الريش في ذيل الطاووس، فكلما أحدق فيه، فإنني أمرض! »[1].

هذا بالتأكيد يوضح وجهة نظر داروين المتحيزة فيما يتعلق بما واجه في الطبيعة. بسبب المجموعة الكبيرة والمتنوعة من الكائنات الحية التي لاحظها في جزر غالاباغوس، فقد كان راضياً في تخزينها جانباً في الكحول، ورفض التفكير في الصفات الاستثنائية التي لاحظها فيها. ومع ذلك، لا يحتاج المرء ليذهب إلى جزر غالاباغوس لرؤية أدلة الخلق المميزة في جميع أنحاء الكون. ببساطة بمجرد التحديق في السماء يستطيع أن يرى الأدلة التي لا حصر لها الدالة على وجود الله القادر الحكيم العليم.

العين، التي أصابت داروين، في جميع أجزاء جسده، بالبرودة، هي مجرد مثال من تلك البراهين التي لا تعد ولا تحصى. تمتلك العين تركيباً معقداً بدرجة عالية جداً، وكمالا يستحيل أن يكون نتيجة الصدفة. فهي تتألف من أربعين مكوناً مختلفاً؛ وأحد الجوانب الهامة هو في «التعقيد غير القابل للاختزال». وهذا يعني أن العين، لكي تكون قادرة على تأدية وظيفتها، يجب أن تحتوي كل واحدة على أربعين من هذه المكونات. ولو فقدت العين واحداً من هذه المكونات فلن يكون لها فائدة. وبجانب هذا، كل واحد من هذه المكونات الأربعين لديه تصميمه الداخلي المعقد. على سبيل المثال، تتكون الشبكية في الجزء الخلفي من العين من إحدى عشر طبقة مختلفة، وأحد هذه الطبقات هي شبكة من أوعية دموية. وهذه الطبقة، التي هي أكثف شبكة أوعية دموية في الجسم توفر الأكسجين في خلايا الشبكية اللازمة لتفسير الضوء. وكل طبقة من

(1) R. Lewin, «Evolutionary Theory Under Fire,» Science, vol. 210, 21 November, 1980, p. 883.

الطبقات الأخرى لديها عملها الخاص بها. لا يستطيع التطوريون أن يعطوا إجابة مقنعة لمسألة كيف تشكل مثل هذا الجهاز المعقد لأن العين إحدى علامات خلق الله التام. قال تعالى : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]

أولئك الذين يكرسون أنفسهم بصورة عمياء ليتبعوا داروين ويصفونه بأنه «رب الأنواع» يجب أن يدرسوا بدقة ما قلناه حتى الآن عن شخصيته. يجب أن يروا أن نظرية داروين تعتمد على الرواية الخيالية عن «معبد الطبيعة» التي تعلمها من جده، واستمد الاستدلالات الخاطئة من هوايته المعرفية في علم الأحياء، والتعصب المفرط في رفض الخلق على أساس التكهنات حول هذه الاستنتاجات الخاطئة، وثقافة القرن التاسع عشر السطحية التي اعتقدت أن الإلحاد علماً. هذه الصورة التي تم تجميعها من الثقافات الوثنية القديمة، هي جزء من الاعتقاد الخاطئ المعروف باسم «السلم الطبيعي» الذي اقترحه أرسطو منذ قرون.

السبب الوحيد الذي يجعل الإنسان يعتنق الدين الباطل بقوة هو أنه ينظر إليه على أنه أداة ضد الدين الحق، وهو الإيمان بالله. ويوضح «فيليب جونسن» (Phillip Johnson) من جامعة شيكاغو، الذي يحتل مكانة رائدة في الأوساط الأكاديمية على الرغم من انتقاده لنظرية التطور:

«وباختصار، انتصار الداروينية تضمّن اندثار [الإيمان] بالله، ومهدت الطريق لاستبدال الدين ... بالدين الجديد على أساس المذهب الطبيعي التطوري»(١)

وفي كتاب آخر يصف جونسون هذا الجانب من الداروينية:

---

(1) Defeating Darwinism by Opening Minds, p. 99.

«مع إن التحيز أكبر مشكلة فإن قادة العلم يرون أنفسهم أنهم يخوضون معركة يائسة ضد الأصوليين الدينيين، وهي التسمية التي يميلون إلى تطبيقها على نطاق واسع على أي شخص يؤمن بوجود الخالق الذي يؤدي دورا نشطا في شؤون الحياة. وينظر لهؤلاء الاصوليين باعتبارهم يشكلون تهديدا للحرية الليبرالية، وبشكل خاص تهديدا للدعم العام للبحث العلمي. وكما أن نظرية الخلق تعتبر أسطورة في المذهب الطبيعي العلمي، تقوم الداروينية بدور أيديولوجي لا غنى عنه في الحرب ضد الأصولية. لهذا السبب، تم تكريس المنظمات العلمية لحماية الداروينية بدلا من تمحيصها، وقد شكلت أنظمة البحث العلمي لمساعدتهم على النجاح[1].

كما قال فيليب جونسن، وجدت الفلسفات المادية دعما لوجهات نظرهم الخاصة في نظرية التطور وللأنشطة وللدعاية ضد الدين فأوجدوا القوة في الداروينية. أذن، فإن تعزيز الداروينية هو إحدى أهم أهداف القوى المعادية للدين، وأبرز أنصار الداروينية هم أعداء الدين.

(1) Darwin on Trial, p. 155.

يعتبر الداروينيون كتاب «أصل الأنواع» مبجلاً وموقراً كالكتاب «المقدس». ولكن، كما رأينا سابقا، أصل الأنواع هو عُقد ضخمة غير متجانسة من الملحوظات والشكوك والنتائج غير اليقينية الناجمة عن الحالة الروحية السلبية لداروين. والكتاب ليس في الحقيقة عمل علمي ولكنه أسس ببساطة على الاستدلال. حتى تشارلز داروين نفسه لديه تحفظات جدية حول طابعه العلمي. وقد كتب في رسالة إلى صديقه «بلومفيلد» (Blomefield) يقول له:

«تم نشر الكثير منذ ظهور كتاب أصل الأنواع وأنا أشك كثيرا في ما إذا كنت احتفظ بقوة وقدرة عقلية لتقليل صعوبته إلي شكل مفهوم ...»[1]

وفيما يتعلق بمحتويات الكتاب، أجاب عن ذلك أقرب صديق لداروين حيث قال:

«لقد قرأت كتابك بمزيد من الألم أكثر من المتعة. واعترف أن أجزاء منه عظيمة، وأجزاء اضحكتني حتى آلمني جنبي، وأجزاء أخرى قرأتها بحزن تام لأنني أعتقد أنها كاذبة تماما ومؤذيه بشكل خطير. وتقوم العديد من استنتاجاتك الواسعة على الافتراضات التي لا يمكن إثباتها أو نفيها ... تكتب «الانتقاء الطبيعي» كما لو أنها فعلت بدقة من قبل عامل انتقاء[2].

الكتاب قد استند على العديد من الأخطاء في المنطق، والافتراضات غير المنطقية والتأكيدات التي لا يمكن اثباتها، وتبقى إلى اليوم بشكل عام دون تحدي. لأن كتاب «أصل الأنواع» يوفر الركيزة الأساسية للمادية

---

(1) The Life and Letters of Charles Darwin, vol. II, p. 388.
(2) The Life and Letters of Charles Darwin, vol. II, pp. 42-43.

والفلسفة الإلحادية، وينظر إليه على أنه المنقذ من الأيديولوجيات والعقائد الضالة والأديان الباطلة في جميع أنحاء العالم التي تعتمد على الفهم المادي للحياة. وبما أن معظم الناس إلى اليوم لم يقرأوا الكتاب، فإن العديد من المؤسسات التعليمية تعتبره الركيزة الأساسية في الفكر الحديث. يصف «جاك بارزون» (Jack Barzun) أهمية كتاب «أصل الأنواع» بهذه الكلمات:

«اتفق المؤمنون والكافرون بشكل واضح بالانتقاء الطبيعي، وأن الداروينية قد نجحت باعتبارها عقيدة، وباعتبارها نقطة تجمع لأعداد لا حصر لها من الحركات العلمية والفلسفية والاجتماعية. وكان داروين هو المحراب وكتاب «أصل الأنواع» هو النقطة الثابتة مع أي حركة تطور في العالم.[١]»

بينما استمر داروين وكتابه في تلقي عبارات التملق، يظهر «هنري موريس» (Henry Morris)، في كتابه «الحرب الطويلة ضد الله»، ويبين كيف أن كتاب «أصل الأنواع» بعيد كل البعد عن العلم:

«في الحقيقة، سيجد المرء أنه من العبث أن تبحث في الكتاب كله عن أي أدلة علمية حقيقية للتطور ... فلا يقدم الكتاب أي دليل في أي مكان - ولا يستشهد بأمثلة أنواع جديدة معروفة قد تم إنتاجها عن طريق الانتقاء الطبيعي، ولا يعرض الأشكال الانتقالية، ولم يوثق آليات التطور. في الواقع، الأبرز في الكتاب برمته هو افتقاره التام للوثائق. كله تكهنات وافتراضات وادعاءات خاصة. وما فيه من أدلة وحجج أصل المنشأ لا يستطيع أن يصمد أمام التحليل النقدي الحديث، حتى من قبل أنصار التطور. الشيء الوحيد الأعجوبة فقط أن مثل هذا الكتاب

(1) Darwin, Marx, Wagner, p. 69.

يمكن أن يكون عميقا جدا له تأثير على التاريخ اللاحق لحياة الإنسان وفكره. لا بد أن يكون هناك شيئا أكثر مما تراه العين!»[1]

كما خمّن هنري موريس، فهناك العديد من الأسباب المختلفة وراء تأثير كتاب «أصل الأنواع» على التاريخ البشري. ففي كل تاريخ العلم، لم يؤخذ بالمفهوم العلمي، سواء كان صحيحاً أم خاطئاً، ولم يتنبأ بمثل هذا التعاطف والتعصب. ولم تتبع الاكتشافات الرائدة للعلماء في الأوساط العلمية كنيوتن وآينشتاين كمثل هذا النوع من الحماس. إنه ليس مفهوما علميا فيما يتم التعامل به هنا ولكنه الدين الذي تم تسويقه عن طريق استهواء السلطة. داروين هو مؤسس هذا الدين، وهو الذي أصدر الكتاب «المقدس» لدعاة التطور.

(1) The Long War Against God, p. 156.

دين الداروينية دين وثني

يؤمن كثير من الناس بالدين الذي أوحاه الله تعالى، ويؤمن آخرون بالأديان الباطلة التي ابتدعوها أو ابتدعتها مجتمعاتهم. فهم يعبدون الطواطم، ويصلون للشمس، ويرجون الغوث من الأجسام الغريبة. ومثل هؤلاء الناس يعرفون بالوثنيين. وما تم عرضه حتى الآن، يمكن القول أن نظرية التطور هي من بين الديانات الوثنية التي تعبد عدة آلهة.

الإله الرئيسي في الداروينية هو «الصدفة». بغض النظر عما يقرأه الدارويني، فإنه سيجد إشارة إلى قوة هذا الصنم، وقدرته وخبرته وبصيرته لأن الداروينين يعتقدون أن الكون وكل ما فيه، حي وجماد، جاء إلى حيز الوجود عن طريق الصدفة. الإله المسمى «الصدفة» هو جوهر وشريان الحياة الداروينية. وما يثير الاهتمام هو أن بعض الداروينيين الذين يحملون لقب «عالم» يتكلمون عن نفس موضوع العبادة ومذاهب هذا الدين الوثني. فعلى سبيل المثال، نجد أن عالم الحيوان الفرنسي «بيير جراس» (Pierre Grassé)، وهو من دعاة التطور المتحمسين، يلفت الانتباه إلى هذه الحقيقة:

> «تصبح الصدفة نوعا من الآلهة، والتي لا تُسمى، تحت غطاء الإلحاد، ولكنها تُعبد سرا»[١].

وقد برز كذلك نفس الوثن في الديانات الوثنية الأخرى. فوُصِف أيضاً ظهور الكائنات الحية في الأديان اليونانية والصينية والهندية برجوع حدوثها إلى الصدفة. وقد عبدت بلاد ما وراء الأنهار القديمة الأصنام، ورجت الغوث من تلك الأكوام الصخرية، واعتقدت أنهم يمتلكون قوى عظمى. وهذه الأديان تعتقد أيضاً أن الصدفة هي التي جلبت الكائنات الحية إلى حيز الوجود، مثال ذلك، فيضان الأنهار أو بعض حوادث

(1) Evolution of Living Organisms, p. 107.

الطبيعية الأخرى. فحسب داروين فإن ظهور أنواع الكائنات الحية الجديدة يعتمد على الظواهر الطبيعية مثل التغيرات المفاجئة في درجة الحرارة أو مستويات عالية من الإشعاع. ومع أن الصدفة الداروينية تختلف عن الآلهة الأخرى. إذ هو الوحيد الذي ينسب إلى الصدفة الوعي والقصد!

اتضح أن «الصدفة» لها غاية؛ وأنه لا مجال هناك للعملية العشوائية. وكان هذا الصنم هو عالم للغيب بحيث، بدأ من أصغر الكائنات الحية، فأحضر كل الكائنات الحية التي على الأرض إلى حيز الوجود وخطط لها احتياجات مستقبلها لملايين السنين القادمة. وهو أيضاً يعلم كل حدث من شأنه أن يحدث في المستقبل بعد ملايين السنين، ويستطيع أن يموّن كل واحد دون أن يفقد جزءاً من التفاصيل.

ولإدارة هذا الأمر، ذهب إله «الصدفة» باستخدام العديد من الأساليب؛ وإحدى أهم تلك الأساليب هو الطفرة. وتعني الطفرة التحولات أو التغيرات في جزيء الحمض النووي (الموجود في نواة الخلية الحية والتي تحمل معلومات وراثية) حيث تأثرت بوسائل الإشعاع أو النشاط الكيميائي. وعادة ما تتسبب الطفرة تدميراً للخلية لا يمكن إصلاحه. فلو نظرنا للمنغوليين والتقزم وفقر الدم المنجلي أو العاهات العقلية والبدنية وكذلك للسرطان فهذه أمثلة لطبيعة الطفرة المدمرة. فالطفرة ليست شيئا سحرياً حيث يطور الكائنات نحو الكمال. ومن الواضح أن عملها ضار يسبب الوفاة والمرض والوهن. وهذه حقيقة مسلمة من قبل العلماء حيث يقارنون الطفرة بالزلازل[١].

نتائج الطفرة دائماً سلبية. ومع ذلك، تنتج «الصدفة» بشكل منتظم نتائج إيجابية! ويعتقد أن هذا الإله يصنع الجمال والمخلوقات المثالية

(1) Origins?, p. 7.

والنظام الرائع. فيمكن أن يخلق ١٠٠ تريليون خلية في جسم الإنسان من دون خطأ أو نقص. وسواء كان خلق الخلايا شبيهاً بالمصنع، ينتج الطاقة والانزيمات والهرمونات ويخزين المعلومات التي أنتجها في بنك المعلومات في النواة، وتوزيع المواد الخام والمنتجات المنتهية بين الأقسام المختلفة مع نظام المختبر ونظام التنقية الذي يحلل كل شيء يأتي من الخارج، والغشاء الذي يؤمن جودة كل ما يتم تحريره، وهذا الإله لا يقترف الخطأ أبداً وخططه لا تذهب سدى.

والأمثلة على قوة الإله لا نظير لها ولا تعد ولا تحصى. فمثلاً صنعت الصدفة الكائن الحي اعتماداً على القلب والدورة الدموية، ومن أجل أن يؤدي القلب وظيفته، خلقت نظام الشرايين لتحمل الدم إلى كل جزء من أجزاء الجسم. وبينما هي كذلك، لم تنس نظام الأوردة لنقل الدم إلى القلب. وأضافت في غضون ذلك، الكبد (أو الخياشيم) لإزالة غاز ثاني أكسيد الكربون من الدم، وأوصلت النظام برمته مع القلب. فهي قد علمت أنه من أجل تنظيف الدم من الشوائب الأخرى هناك حاجة للكلى لذلك خلقتها على الفور.

وهذه القائمة ممكن أن تمتد، ويجب لكي تستمر حياة أي مخلوق أن تؤدي أعدد كبيرة من الأعضاء وظيفتها على أكمل وجه، وفي الوقت نفسه. لو أخفق واحد منها في عمله فإن المخلوق يموت في غضون بضع دقائق، وفي الغالب بعد أيام قليلة. ولكن وفقا لادعاءات أنصار التطور، فإن الإله، الصدفة، واعي للغاية ومدرك تماماً. خطّط وأحضر إلى الوجود ملايين من الكائنات الكاملة الخالية من العيوب. وهو أيضاً خلق الإنسان نتيجة لعملية طويلة. ولكن لم يرض بالوجود فقط في خلق الإنسان؛ بل أيضاً تصور كل شيء ممكن أن يحتاجه هو وذريته لآلاف الأجيال. ولتوفير احتياجات الأجيال القادمة، خلق قبله القمح بآلاف

السنين. وخلق النفط، لتلبية احتياجات الطاقة في الأجيال المقبلة، وحينما جعل الشمس مصدراً للطاقة، فإنه لم يهمل خلق طبقات في الغلاف الجوي لحماية الإنسان من أشعتها الخطيرة. وعندما صمم الجهاز التنفسي للإنسان، خلق أيضاً جوا مناسباً. إنه نظام متوازن للغاية حيث حياة كل كائن حي يعتمد على كائن آخر. فوجود الأكسجين معتمداً على النباتات، والنباتات على الماء، والماء على حرارة الغلاف الجوي؛ وتعتمد جميع هذه الأنظمة على دوران الأرض، والتي بدورها تعتمد على جاذبية الأجرام السماوية والمسافة بين الشمس والقمر وآلاف من التفاصيل الأخرى. ويتغذى كل مخلوق من الآخر، فلو انقرض مخلوق فإن الآخر يتضرر، وبحسب ما يدعي أنصار التطور، فإن الصدفة لديها درجة عالية من الوعي لم تترك أيا من هذه التفاصيل!

بالإضافة إلى ذلك، فمع مرور الوقت خلق هذا الوثن ملايين من أنواع الكائنات الحية وزيّنها بمميزات خاصة. وفقا لنظرية التطور، هذا الوثن بإمكانه أن يفعل ما يرغبه، فإذا كان يريد أن يعمل العين، فإنه يعملها. وإذا كان يريد أن ينشئ ذراعاً، فإنه ينشئها أيضا. إنه يتصور كل شيء يريد أن يعمله وكيفية عمله للحصول على نتائج كاملة. قبل وجود العين، حينما لم يكن هناك شيء يبصر خلقت الصدفة فراغين في الجمجمة وادرجت كرتين مليئتين بالسائل الذي يمر من خلالها الضوء، ثم أنشأت لاحقاً عدستين أمام هذا السائل الذي يمكن بسهولة أن يكسر الضوء ويسلطه على الجدار الخلفي للعين، ثم أصبحت العين ترى الفراغ المحيط، حيث خلقت العضلات البصرية. ولكن لم تنتهِ العين بعد، فقد خلقت الشبكية في الجزء الخلفي لتدرك الضوء عن طريق الأعصاب المتصلة بالدماغ، والغدد المسيلة للدموع لحمايتها من الجفاف، وكذلك الجفون والرموش تحميها من الغبار والمواد الغريبة الأخرى. شكّل إله

الداروينية كل هذه الكائنات المثالية عن طريق الطفرات - وهي العملية، في ظل الظروف العادية، تنتج مسخاً، وتؤدي إلى العيوب والأمراض، وليس لديها أي تأثير إيجابي على الكائنات الحية.

وفقا للاعتقاد الدارويني، إله الداروينية لديه اهتمام بالجماليات التي يخلقها. وسواء كانت كائنات حية أو جامدة، فإنها تولى اهتماما في للونها ومظهرها وطعمها ورائحتها بحيث ينسجم شكلها جمالياً. عند اتخاذ الفاكهة أو الخضار، فإنها تأخذ في الاعتبار طعمها ورائحتها وشكلها ومحتوياتها من الفيتامينات والمعادن والكربوهيدرات والسعرات الحرارية والسكر. فليس من المقنع أن تكون الفراولة هكذا مجردة ولكنه يصاحبها أيضاً رائحتها المنعشة وشكلها الجذاب. وبطبيعة الحال، فإن حاسة التذوق والشم لدى الإنسان تجعله يجد متعة مع هذه الجماليات. يقول عالم الحيوان الفرنسي الشهير «بيير بول جراس» (Pierre-Paul Grassé) عن هذا المفهوم:

«يبدو من الصعب تصديق ظهور الطفرات المناسبة التي تسمح للحيوانات والنبات بتلبية احتياجاتها. ومع ذلك، فإن النظرية الداروينية هي أكثر مطالبة: فالنبات لوحده، وكذلك الحيوان منفرداً يتطلب الآلاف والآلاف من الحظ والأحداث المناسبة. وبالتالي، ستصبح المعجزات هي الحكم... لا يوجد قانون مناهض لأحلام اليقظة، ولكن يجب على العلم أن لا ينغمس فيها»[1].

إن جوهر دين الداروينية هو الاعتقاد الذي يناهض العلم. لو الفكر الإنساني لديه القدرة ليفهم: أن البناء المعقد لا يمكن أن يتشكل بالصدفة، والمنتج يجب أن يكون نتيجة خطة ذكية.

---

[1] Evolution of Living Organisms, p. 103.

الداروينية هي على طرفي نقيض مع العقل الإنساني. ولكنهم مثل الوثنيين البدائيين المناهضون للعقل الذين عبدوا الأصنام التي صنعوها بأيديهم، والداروينيون كذلك يستخفون بالعقل الإنساني، ويلتزمون بتعاليمهم. يصف عالم الأحياء الجزيئية الشهير «مايكل دنتون» (Michael Denton)، هذا الوضع المثير قالاً:

«للافتراض الشكي أن البرامج الوراثية للكائنات الحية العليا، تتشكل من شيء قريب من ألف مليون بت من المعلومات، أي ما يعادل سلسلة من الحروف في مكتبة صغيرة لألف مجلد، والتي تحتوي في شكل مشفر على آلاف لا تحصى من خوارزميات معقدة التحكم، ومخصصة، ومنظمة لنمو وتطور المليارات والمليارات من الخلايا في شكل كائن حي معقد، قد تم تأليفها من خلال عملية عشوائية بحتة فهذا مجرد إهانة للعقل. ولكن الداروينيين قبلوا هذه الفكرة دون تموج للشك[1]!

وللمرء أن يستنتج أن هناك تشابه كبير بين معتقدات الداروينية وتلك الثقافات الوثنية القديمة. فكما يعتقد المشركون أن الأصنام التي لا حياة فيها فإنها قادرة على الخلق، فيعتقد التطوريون والماديون أن المادة غير حية، وبدافع من حوادث عشوائية، خلقت الكائنات الحية، بما في ذلك أنفسهم[٢].

---

(1) Evolution: A Theory in Crisis, p. 351.

(٢) الداروينية دين لأنها تعطي صورة كاملة عن العالم بديلاً عن الدين الحق، فتذكر بدء الكون ونهايته، وتذكر الغاية، فهي كالدين تماماً، فهي إيديولوجية وليست فرضية علمية، أصبحت بديلاً عن المسيحية في المعنى والأخلاق. وقد ذكر «مايكل روس» (Michael Ruse) أستاذ الفلسفة بجامعة ولاية فلوريدا أن الداروينية دين يقول: «أنا تطوري متعصب ومسيحي سابق، ولكن يجب أن أعترف في هذه الشكوى أن المتدينين هم على حق تماماً . أن التطور دين. وقد كان هذا حقاً في بداية التطور، ولا زال صحيحاً حتى اليوم» انظر

تأسس الدين الداروني على الوهم. حتى أن مؤسسه، تشارلز داروين، كان مدركاً أن الكائنات الحية المعقدة لا يمكن أن تأتي إلى حيز الوجود عن طريق الصدفة. فالكمال في نظام الطبيعة أظهر لهم أن كل شيء موجود لديه تصميم رائع. وقد اعترف داروين بشكوكه في هذه الكلمات:

«لا يمكن بأي حال أن اقتنع بهذه الرؤية أن هذا الكون المذهل، وخاصة فيما يتعلق بالطبيعة البشرية ... وأنا ميال للنظر في كل شيء كنتيجة عن قوانين موضوعة ... وكل هذه القوانين تم تصميمها بشكل صريح من قبل خالق كلي العلم، الذي (تنبأ) عن كل حدث في المستقبل، ولكن أكثر من هذا إذ أعتقد أنني أصبحت أكثر حيرة»(١).

« وأنا أدرك أنني في تشويش ميؤوس منه تماما. لا أستطيع أن أعتقد أن العالم، كما نراه، هو نتيجة الصدفة. والآن لا يمكن أن أنظر في كل شيء منفصل باعتباره نتيجة التصميم»(٢).

«بوسعي أن أعطي أمثلة كثيرة مذهلة وغريبة في كل تصنيفات الحياة، لدرجة أنني أعتقد أنه لا يمكن أن تكون صدفة»(٣).

= http://www.huffingtonpost.com/michael-ruse/is-darwinism-a-religion_b_٩٠٤٨٢٨.html. يقول داروين: «إن الطبيعة تعطي وتحرم بشكل عشوائي متخبط، إنها تعطي وتجود على بعض الأنواع، فتتحسن وتتطور لتعطي أنواعاً جديدة أفضل، بينما تبقي الحيوانات الأخرى التي لم تحظ بعطاء من الطبيعة على حالها وقد تتراجع وتنقرض». فجعل للطبيعة إرادة تعطي وتمنع من تشاء لتكتمل صورة الدين، وتجاهل داروين قدرة الله تعالى وأن الله تعالى هو المعطي والمانع». (المترجم)

(1) The Life and Letters of Charles Darwin, vol. II, p. 105.

(2) The Life and Letters of Charles Darwin, vol. II, p. 146.

(3) The Life and Letters of Charles Darwin, vol. I, p. 455.

الظاهر أن أفكار داروين وموقفه من الدين قد تبدلت بتقدمه في السن، فقد كان يؤمن في شبابه بفكرة الخلق الخاص، وقد عبر عن اعتقاده بأن « الإنسان سيكون في المستقبل البعيد مخلوقاً أفضل وأكمل بكثير مما هو الآن» وذلك في كتابه

= المنشور تحت عنوان Life & Letters، والذي يضم طرفاً من حياته وعدداً من رسائله إلى بعض العلماء المعاصرين. يقول داروين في هذا الكتاب: «أن ثمة مصدراً آخر للاعتقاد في وجود الله، يرتبط بالعقل، وله في نظري أهمية أكبر بكثير من المصادر المتعلقة بالمشاعر والأحاسيس. وهذا المصدر يأتي من الصعوبة البالغة ـ أو بالأحرى استحالة تخيل هذا الكون الفسيح الرائع الذي يشمل الإنسان بقدرته على النظر إلى الماضي البعيد وإلى المستقبل البعيد أيضاً ـ على أنه ظهر نتيجة للمصادفة البحتة أو نتيجة للضرورة. وحين أفكر بهذه الطريقة أشعر بأنه لابد لي من البحث عن علة أولى لها عقل بضمير يشبه إلى حد ما عقل الإنسان. وهذا يعطيني الحق في أن أوصف بأنني مؤمن بالله. وقد كانت هذه النتيجة واضحة في ذهني، بقدر ما أتذكر، في الوقت الذي كتبت فيه «أصل الأنواع». ومنذ ذلك الحين أخذت هذه الفكرة تضعف بالتدريج ولكن مع شيء من التقلب والتراوح. ولكن هنا يثور الشك: هل يمكن أن نثق في عقل الإنسان ـ الذي اعتقد كل الاعتقاد أنه نما وتطور من عقل بسيط كعقول أبسط الحيوانات وأدناها ـ حين يستنتج مثل هذه الاستنتاجات الضخمة» ويرفع داروين يديه عند هذه النقطة مستسلماً ـ على ما يقول داونز ـ ثم يعلن النهاية: «لا أستطيع أن أدعي بأنني ألقي أقل بصيص من الضوء على مثل هذه المشاكل العميقة، فإن سر بداية الأشياء كلها غير قابل للحل. أما فيما يتعلق بي شخصياً فإنني قانع بأن يكون موقفي هو موقف اللاأدري حول هذا الموضوع. انظر عالم الفكر، المجلد الثالث، العدد الرابع ص ٧. (المترجم)

الذين ينشرون أي أيديولوجية أو دين هم في الغالب معتنقي تلك الأفكار. وقد جاء تأثير الداروينية في جميع أنحاء العالم عن طريق أولئك الذين يعتبرون نشر دينهم من خلال النشاط التبشيري واجب عليهم، وهذا المفهوم موجود في العديد من الأديان. المبشرون هم أناس يرحلون من مكان إلى آخر كي يدعوا لدينهم، ويعملون على جمع المؤيدين، ويسعون لإنشاء منظمة في كل مكان. الهدف الأساسي للمبشرين هو تعليم طريقة التفكير الذي يتوافق مع دينهم، وغرضهم قولبة الآخرين ليفكروا كما يفكرون ويشاركونهم القيم والأحكام.

أعظم هدف للمبشرين الداروينيين هو خلق مجتمع يتقاسم نفس الرؤية للحياة كما يراها داروين. في الحقيقة، أن كل مؤسسة في المجتمع، ولا سيما في النظام التعليمي، تؤسس على مبادئهم. فهدفهم هو تثقيف الجيل الذي ينكر وجود الله، ويقبل الرؤية المادية للحياة، ويعبد الأصنام الحالية، ويتمسك بشكل أعمى بهذا الدين الباطل مع إنه غير منطقي وغير عقلاني. ومن هذا المنطلق فإنه من المهم أن الناس الذين يختارونهم أن يكون لديهم الكفاءة التي تشكل جوهر الإرسالية. يجب أن يكون أولئك الذين يقدمون الدعم المادي والروحي للدين قادرون في وقت لاحق على التأثير على الناس وعلى مخاطبة مجموعات كبيرة.

وتأتي الإرساليات الداروينية من أي خلفية مهنية أو تعليمية، فليس شرطاً أن يكون لديهم تدريب علمي أو مستوى تربوي راقي من التعليم. في الواقع، لم يكن تشارلز داروين عالما حقيقيا. كان شخصاً لديه خلفية في علم اللاهوت ولكنه بعيدا عن الدين. ومن الذين قاموا بدور هام في نشر نظريته، المحامي تشارلز ليل، ومساح الأراضي «وليام سميث» (William Smith)، والخبير الزراعي «جيمس هاتون» (James Hutton)،

وعالم الرياضيات «جون بلايفير» (John Playfair ,)، والصحفي «روبرت تشامبر» (Robert Chambers ,)، و«ألفريد رسل والاس» (Alfred Russell Wallace) الذي تتلمذ فترة قصيرة في مهنة مسح الأراضي[1].

اعتبر داروين هؤلاء الناس هم جنوده الذين يدخل بهم في أرض المعركة في الميدان الاجتماعي لأنه نفسه لم يكن يرغب أن ينشغل بهذه الأنشطة. ففكرة التحدث مع الجمهور أو النقاش العام جعلته مريضاً بدنياً. وصف «ريتشارد ميلنر» (Richard Milner) التطوري الشهير الذي قد عمل أبحاثاً كثيرة عن حياة داروين، أولئك الأشخاص بأنهم «مجموعة داروين المتمردون».

ومع مرور الزمن ازداد عدد الارساليات تدريجيا، وانتشر دين داروين في جميع أنحاء العالم وأصبحت فكرته مثالية، وبدعم من الناس الذين قدموا من كل زوايا المجتمع. ومن أولئك الأوائل الذين يتبادرون إلى الذهن هم «توماس هكسلي» (Thomas Huxley)، والمعروف باسم «كلب داروين» وابنه «جوليان هكسلي» (Julian Huxley)، و«ثيودوسيوس دوبجانسكي» (Theodosius Dobzhansky). وفي العصر الحديث، «ريتشارد دوكينز» (Richard Dawkins) و«ستيفن جاي غولد» (Stephen Jay Gould). وأكثر ما يلفت الانتباه عن هؤلاء الأشخاص، أنهم غير عقلانيين (وقد اعترفوا بهذا في اجتماعاتهم)، إنهم يرفضون التخلي عن ولائهم للداروينية. ودائماً يدافعون عن نظرية التطور في كل مجال من مجالات حياتهم، وفي كل كتاباتهم وحواراتهم. وفي مناسبات عديدة تجدهم يتحدون بصورة علنية عن صحة النظرية، وهم متعصبون بصورة عمياء لهذه النظرية، فقد يلجؤون إلى الغوغائية وتجاوز القضية

---

(1) The Long War Against God, p. 191.

كي يكسبوا الجدال. وفي كل مواجهة فإنهم يتبنون موقفا عدائياً ضد خصومهم وذلك بالسخرية والشتائم.

وكان أكبر حلفائهم تلك المؤسسات الإعلامية التي أخذت بخط التطور، فهذه المنظمات تجعل من واجبها إيصال الرسالة الداروينية للجميع. وفي الواقع، إنها وسائل الإعلام التي جعلت من الممكن لعقيدة التطور أن تنال مثل هذا التأثير الكبير. وعلماء التطور هم الذين دعموا وسائل الإعلام بتفسيراتهم وبما يسمى المعلومات العلمية، واستغلال الثقة والاحترام التي يقدمها المجتمع للعلماء.

في كل قُطر هناك تشابه في الأساليب المستخدمة من قبل الإرساليات الداروينية، وهم يستخدمون خدعتين مختلفتين لطمس رؤية الناس: الأولى تفسير مفتوح للداروينية وعرض مبادئها من خلال الكتب ووسائل الإعلام، والمقالات التي تتناول موضوعات الداروينية تظهر باستمرار في المجلات والصحف، ولا تعطي مقالاتهم الدقة العلمية أهمية كبيرة. فالشيء المهم هو ابعاد الناس عن حقيقة الخلق وجعلهم يعتادون فكرة التطور.

الطريقة الثانية المستخدمة هي الايحاء غير المباشر. يعطي الافتراض الدارويني للناس: «أنت لست مسؤولاً عن أي شخص لأنك تدين حياتك للصدفة، وفي الصراع من أجل البقاء قد تضطر إلى سحق الآخرين؛ وهذا العالم هو عالم صراع ومصلحة ذاتية». إنها الرسالة التي تقدم المفاهيم البيولوجية الداروينية مثل «الانتقاء الطبيعي»، و«الطفرات العشوائية»، و«الصراع من أجل البقاء»، و«البقاء للأصلح»، وغيرها التي قد تحقق لهذه الافتراضات في العديد من المجتمعات قبولا ونجاحاً. ويعيش معظم الناس حياتهم وفق هذه التصورات. يعيشون في هذا العالم للحصول على وظيفة مرموقة، يكون لهم أملاكا، ويكسبون المال، ويعثرون على وسائل الترفيه، ويتفوقون في نضالهم مع الحياة. والناس بهذه العقلية لا تسأل لماذا هي موجودة فضلاً أن تفكر حول وجود الله. هم لا يشعرون بالمسؤولية تجاه الله، الذي خلقهم. ومع أن معظمهم لم يسمع قط عن نظرية التطور أو أفكار داروين، ولكنهم ينظرون للحياة من وجهة نظر داروينية[(١)].

---

(١) الداروينية تدعو للصراع، فقانون البقاء للأصلح، يعني أن الإنسان الضعيف أو المريض أو فاقد القوة المادية لا يحق له البقاء، فالبقاء للأصلح أي للأقوى في كل شيء، فنظرية داروين نظرية حيوانية بكل معنى الكلمة، فلا تعتبر للإنسان قيمة البتة، وهذا من أبشع ما ابتلت به البشرية أن تجعل الإنسان في درجة دونية مشابه للحيوان في أصله ومنشأه، وفي غايته، وفي سلوكه، وهذه جناية على البشرية أن لا يكون للإنسان قيمة إلا بما لديه من قوة. ولهذا شهد العالم المادي إبادة للبشر لم يسجل التاريخ مثلها، فعشرات الملايين قتلوا في الحربين العالميتين لأن البقاء يجب أن يكون للأصلح، وأبيدت شعوب كالهنود الحمر وغيرهم لأن البقاء للأصلح. النظرة الداروينية عنصرية صرفة فهي قسمت البشرية وفق نمطين: الأصلح، وغير الأصلح. وأباحت للأصلح أن يقضي على غير الأصلح. فالاعتبار ليس للإنسان بذاته ولكن بما لديه من قوة. قال جوليان هكسلي الدارويني : «هي حلبة يتمّ انتقاء الأقوى والأصلح فيها من الأضعف والفاشل، ولا مناص من هذا الانتقاء».

أصبح الاقتراح الخفي من الداروينية هو مدونة الأخلاق التي تسيطر على المجتمع بشكل عام. حتى لو كان عدد الإرساليات في المجتمع قليل، فإنهم يأثرون بأفكارهم. فلهم تأثير قوي في الجامعات، وعدد من المؤسسات العلمية، وكل القطاع الاجتماعي. فهم يوجهون المجتمع، ويحددون سياسة التعليم، ويشكلون الضمير العام بمساعدة وسائل الإعلام.

= فهم قرروا أن البقاء للأصلح والأقوى، ولكن التاريخ يشهد أن الأقوى قد لا يبقى بل يموت ويفنى، فقوم عاد كانوا أشد قوة، ومع ذلك فنوا جميعاً، ثم هم يقررون أن الأصلح هو الأقوى ويقصدون بذلك في الأمور المادية، وتجاهلوا الأمور المعنوية، فقد يكون الأصلح مادياً فاشل معنوياً، فهذا لن تنفعه قوته المادية كثيراً، إذ الضعف سيسري فيه ويهلكه.

وخطأهم أنهم جعلوا الإنسان كالحيوان يعيش في غابة، والحيوان القوي هو الذي يبقى أما الضعيف فيهلك، وهذا قياس لا يصح لأن الإنسان لديه عقل يمنع هذا الافتراس الحيواني بين أفراده، ولديه وعي ومشاعر وأحاسيس ترتقي به عن السلوك الحيواني.

النظرية الداروينية بهذا المبدأ تلغي مبدأ الإيثار ومبدأ التضحية والرحمة وجعلت الحياة قاسية لا رأفة فيها، فلا مشهد في الحياة إلا مشهد الصراع، فالداروينية تقر العنف وتجعله ركيزة الحياة. فقد ألغت ضمير الإنسان وجعلته قاسي القلب يتعامل مع الضعيف من منطلق القضاء عليه لأنه يستحق البقاء، وهذه وحشية مقيتة.

ومما ينقض عملية الانتقاء الطبيعي والبقاء للأصلح أن عدد الكائنات الحية أضعاف ما كان في الماضي، ويفترض وفق البقاء للأصلح أن تنقرض الكائنات الضعيفة ويبقى الأقوى، ويكون العدد بالتالي أقل، ولكن ما نشهده خلاف هذا. فنحن نرى حيوانات ضعيفة جداً فمثلاً القرد الكسلان، فهو يقضي معظم وقته بدون حركة معلقاً على جذوع الشجرة بواسطة رجليه ويديه، متدلياً بوضع مقلوب رأسه لأسفل. وهو لا يتحرك إلا للضرورة القصوى، وحتى عندما يتحرك تكون حركته بطيئة جداً. ومع ذلك لم ينقرض. فالحيوانات الضعيفة لديها القدرة على البقاء ومواجهة صعوبات الحياة. ثم إذا كان البقاء للأقوى، فلماذا انقرض الديناصور مع قوته، وبقيت البكتريا والحشرات الصغيرة مع ضعفها؟ (المترجم)

ومع أن أذهان الكثيرين منهم غير مبالية بمسألة من أين جاءوا، فإن أكثر صناع الأفلام، وناشري الصحف والمجلات، والمهيمنين على المسرح، ومراكز الفن، ودور النشر وصناعة الموسيقى، الذين يعتبرون أنفسهم «التنويريون»، هم الذين يؤمنون بالداروينية كدين. وعليه، فإن الشاب الذي يحضر الجامعة، فهو تحت تأثير المعلمين الداروينين. وعندما يذهب إلى معرض الكتاب، يجد كتب الداروينية والإلحاد. وفي المسرح أو في معرض الصور نفس الرسائل تطبع في الذهن. وهكذا، يأخذ فهم الإلحاد في القطاع التعليمي للمجتمع تحت نفوذهم وينتقل هذا من جيل لآخر.

ويعتقد أولئك الذين وقعوا تحت تأثير هذا الفهم الأخلاقي أن الداروينية حقيقة علمية. فهم يقبلونها بصورة عمياء ويعتبرونها الدين الحق، كعقيدة موروثة يعتنقه مجموعة من الناس غير متعلمين، كما وصفهم الله في القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤]

ومع أن الدين الحق هو الإسلام، ولا علاقة له بالتقاليد، فهو الحقيقة المطلقة التي أوحاه الله تعالى، وهو الذي خلق وهدى البشرية. إن وعي أولئك الذين انخدعوا بالداروينية متبلد بقدر ما أنهم غير قادرين على فهم هذه الحقيقة. ولكي نفضح هذا الدين الباطل ونرفع ستار الغفلة الذي سقط على المجتمع، فإنه يجب أن نبطل الأساليب العلمية للفلسفة الداروينية والمادية.

بغض النظر عن حقيقة أن الدين الدارويني هو مجرد نتاج الدهمائيين، فإنه قد استحوذ على مكانة مؤثرة في عقول الناس. وهم غير قادرين على مساءلته لأنه يحرم طرح الأسئلة. فهذا الدين يتطلب الإيمان دون قيد أو شرط.

إنه من الضروري لكي تكون داروينياً أن تعتقد أن الكائنات الحية قد نشأت من مادة غير حية [صدفة] [١] ، فالزواحف بدأت الطيران نتيجة

---

(١)الاعتقاد أن الصدفة هي التي أنشأت الخلق لا يمكن أن يُبنى على برهان علمي صحيح؛ بل على «إيمان أعمى»، فالصدفة لا يمكن أن تفعل هذا الكون الرائع الدقيق المتقن، وإلا لكانت الصدفة عاقلة حكيمة، نحن قد نصدق أن يرمي شخصاً قطعة معدنية لأعلى ثلاث مرات متاليات ثم تسقط ويكون وجهها لأعلى ثلاث مرات متاليات، ونجد صعوبة في أن يتحقق ذلك في ٥٠ مرة متالية، ولا يمكن بحال أن نصدق أن تكون القطعة المعدنية تقذف (١× ٢) وتكون في كل الرميات على وجهها، فهذا مستحيل استحالة تامة أن يحدث بالصدفة، والتطويري يؤمن بأشد من هذا فهو يؤمن أن هذه المخلوقات المذهلة جاءت هكذا عن طريق الصدفة، فالتطوري يلغي عقله وفكره ويتجه نحو التسليم و«الإيمان الأعمى» بصحة أن الصدفة تخلق عالماً حيوياً متناهيا في الاتقان والكمال.

وقد اعترف عالم الأحياء «جاك مونو» (Jacques Monod)، الحائز على جائزة نوبل، في كتابه الصدفة والضرورة قائلاً: «الصدفة وحدها هي مصدر كل ابداع، وكل الخلق في المجال الحيوي» انظر:

https://answersingenesis.org/evidence-against-evolution/probability/does-it-really-take-more-faith-to-believe-evolutionary-ideas /

وحين يزعم «دوكينز» ويدعي أن داروين قد جعل لا حاجة لله في علم الأحياء، وإنما يكون بحاجة للإله من كان يؤمن بالإله ليملأ الفجوات. طبعاً كلام «دوكينز» ليس كلاماً علمياً بل هو ادعاء لتغطية الحقيقة أن الداروينية ليست لديها برهان علمي، فمن أسس الإلحاد أن يؤمن دون إدراك للحقائق، ويؤمن بالاحتماليات الغامضة والمحيرة للعقل، فمثلا في كتاب «المبدأ الكوني البشري» يضع العالمان «بارو» (Barrow) و «تبلر» (Tippler) عشر خطوات أساسية يحتاجها التطور البشري كي يصل إلى الإنسان الحديث. وكل هذه الخطوات

لعملية من قبيل الصدفة، والكائنات الحية المعقدة للغاية كالخلايا، أصبحت في نهاية المطاف عيناً وأذناً، وجاءت إلى حيز الوجود عن طريق الصدفة العشوائية، والمخلوقات البحرية مثل الحيتان تطورت من الثدييات كالدببة التي ذهبت إلى البحر بحثا عن غذائها، والديناصورات التي تجري خلف الذباب تطورت لها أجنحة وأصبحت من الطيور. فمن الواضح أن هذه الافتراضات غير معقولة وغير منطقية. فمن يقرأ هذه الكلمات قد يعتقد أنه عندما العلماء المحترمون يعتقدون هذه الأشياء فإنه حتماً لديهم دليل على ذلك. ولكن ليس هناك أدنى دليل - فقط تخمينات، وظنون، واحتمالات، وأهواء. فالقرار قد تم اتخاذه وصناعته حول هذه الأشياء. لذا من الضروري فقط أن تعتقد.

كل ما هو مطلوب لجعل الناس يؤمنون بهذا الدين هو مقالة واحدة في مجلة أو كتاب أو فيلم وثائقي قصير. حتى ولو أراد أحد التأكد، فإنه لا يستطيع طرح الأسئلة ولا يستطيع دراسة الأحافير التي من المفترض أنها تؤكد الأشكال الانتقالية أو دراسة الرسومات والتوضيحات الملفقة التي يزعم أنها تمثل الحقيقية. ولا يستطيع بنفسه إجراء التجارب، مثل تجربة

= مستبعدة تماماً ولكي تحدث هذه الخطوات فلابد أن تحترق الشمس وتندثر، وتزول والأرض. فالرقم الذي استخدمه العالمان لحساب حدوث الصدفة وحدوث التطور الموجه للجينوم البشري هو بين هذه القيم: ٤^-١٨٠^١١٠٠٠٠٠ و ٤^-٣٨٠^١١٠٠٠٠٠

باعتبار أن عدد جزيئات الإلكترون في الكون المعروف هو تقريباً ١٠ ^ ٨٧ - حتى هذا العدد لا يمكن إدراكه (١٠ ^ ٨٧) ومقارنة هذا الرقم مع الرقم الذي بالأعلى سيكون كأنه لا شيء. ولو تحدثنا بعقلانية فإن اعتبار الصدفة في حدوث الخلق أمر مستحيل، ولكن الداروينى ليبقى على عقيدته ليس لديه خيار إلا أن يؤمن بطريقة عمياء بصحة النظرية. ويجادل بالباطل ليدحض به الحق ويقول إننا لسنا بحاجة للإله. (المترجم)

«ميلر» التي اثبتت التطورات العلمية بطلانها [(١)]. وأولئك المتورطون في هذا النوع من الدراسة فإنه مباشرة يتم استبعادهم من الدوائر العلمية من قبل المبشرين الداروينين. بل في الحقيقة إنهم «يحرمون». لو أنهم فكروا قليلاً حول هذه الحقائق، فحتماً سيدركون الحقيقة.

أي إنسان لديه الحد الأدنى من المعرفة العلمية يعلم أنه ليس هناك وقتاً كافياً لدى الأسماك أن تأتي إلى اليابسة لتنمو معتادة في البيئة الجديدة، فإنها مباشرة ستموت. وأي إنسان درس التركيب المعقد للخلايا سيدرك بمنهج الحس السليم ويفهم أن هذه الكائنات الحية المعجزة لا يمكن بحال أن تأتي من خلال الصدفة. ويدرك أن الزواحف لا يمكن قط أن يتطور لها أجنحة بالصدفة ومن ثم تطير. وسوف تثبت هذه الحقائق لكل نوع بالتجربة والملاحظة. ولكن الناس الذين حجب المذهب الداروني عقولهم لا يريدون التفكير في مثل هذه الأمور، فهم يخافون من التفكير فيها.

ولكي نفهم أن الله خلق الكون، فيجب على الإنسان أن يفكر بعمق حول خلق الأرض والسماوات. وحين يحرر نفسه من التحيز والتعصب، فإن الاستنتاج الوحيد الذي يمكن أن يصل إليه هو أن هناك خالق عظيم. ويبين الله تعالى في القرآن الكريم أهمية أن يستخدم الإنسان عقله: قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤]

---

(١) لمزيد من التفصيل، انظر لهارون يحي كتاب «خديعة التطور: انهيار العلمية الداروينية وخلفياتها الأيديولوجية» وكتاب « دحض الداروينية: كيف نظرية التطور انهارت في ضوء المعارف الحديثة».

قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]

يدرك قادة الداروينية أن حرية الفكر تعني نهاية نظريتهم، ولهذا السبب فهم يثبطون الفكر. والطريقة التي يستخدمونها في ذلك أن يقترحوا للناس أن الجوانب العلمية المشهورة لهذا الدين معقدة للغاية ومستعصية جداً على الفهم. فيستخدمون مصطلحات غير مفهومة، وكلمات لاتينية، ومقارنات علمية، ويؤكدون على أن مثل هذه الأمور لا يمكن أبداً أن تفهم من قبل الناس العاديين. وهكذا أقنعوا الناس منذ البداية أنه لا يمكنكم الفهم وأن أصول الداروينية لا يمكن فهمها إلا من قبل الرجال العظماء أهل العلم. ومن أجل أن تتجنب الإحراج، فمن المنطقي، كما يرونه هم، أن تقبل ما يقولونه. لذلك تأسست التراتبية بين قادات الدين والاتباع، بحيث كل شخص يعرف مكانه.

ولكن مع كل الاحتياطات، والمحرمات، والعقبات، فإن الداروينيين لا يستطيعون منع أتباعهم من ممارسة الشك لأن ما يحيط بهم يقدم آلاف البراهين عن الخلق. ولكي تشك في النظريات الداروينية فإنه يكفي أن تتأمل في كمال نظام العالم، وفي الخصائص المدهشة في كل كائن حي، وفي الدقة المذهلة لكل الخلق أجمع من الذرة إلى المجرة، والبناء المعقد لكل كائن حي، وجمال الطبيعة، وعبير الأزهار، وطعم الفواكه.

بعد أن أثبتت التطورات العلمية بطلان نظرية التطور، فإن كثيرا من العلماء اعترفوا بهذه الأساليب المختلفة. وقد عمل الداروينيون كل ما في وسعهم، لكنهم لم يتمكنوا من إخفاء الحقائق بغربال. وبقدر ما يحاولون قمع المناقشات والكتب والأبحاث التي تظهر بطلان نظرية داروين بشكل دائم، إلا إنه كان من المستحيل منع تداولها. لذلك رجعت الإرساليات الداروينية إلى واحدة من أهم التدابير الطارئة وهو: التزوير.

غالباً ما يقترف التطوريون التزييف والتزوير من أجل تأييد نظريتهم وادعاءتهم الأساسية، وهذه هي الطريقة العقلانية الوحيدة لإزالة الشكوك لأنهم يدركون أنه بغير هذه النقطة المعينة فإنه لا قيمة للغوغائية وللكلمات الفارغة. الناس ينتظرون دليلا موثقاً من دعاة نظرية التطور، ولكن الدليل الوحيد الذي يمكن أن يقدمه الداروينيون هو دليل الزور والكذب. ولا يوجد أي ملجأ آخر لأولئك الذين يروجون العملية الوهمية إلا بإخفاء الاكتشافات الجديدة، وتدمير الأدلة، وذلك من أجل دعم نظرية التطور.

وإحدى أساليبهم هو استخدام الرسومات الخيالية الرائعة لدعم فرضية ما يسمى الإنسان القرد. في الماضي كانوا يرسمون الرسوم التوضيحية الخيالية، والآن، مع مساعدة الكمبيوتر أنتجوا تصاميم جديدة للإنسان القرد. ولكن مصدر الإلهام الوحيد هو الخيال لأنه ليس لديهم دليل علمي. فهم يخترعون «الدليل» ليدعم نظريتهم.

قال تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾ [الكهف: ٥٦]

وفي الواقع لقد ارتكب الداروينيون عمليات تزوير كبيرة سجلها التاريخ كفضائح. على سبيل المثال، تحولت جمجمة إنسان بلتداون، الذي تم اكتشافه في عام ١٩١٢ وخدع العالم حتى عام ١٩٥٣، تحولت لتكون أحفورة مزورة صنعت من قبل أنصار التطور من جمجمة بشرية والتي كان الفك السفلي هو لقرد الغاب. وأضيف عليها لاحقاً أسنان الجمجمة ورتبت لتعطي انطباعاً أنها كانت لإنسان؛ وحشوها بشيء ناعم وربطوا عظام الفك، ثم لطخت أجزائها بثاني كرومات البوتاسيوم لإعطاء انطباعاً بتقدم العمر.

عرض التطوريون هذه الأحفورة لمدة أربعين عاما في المتحف البريطاني الشهير. ولأربعين سنة تم خداع العالم العلمي أجمع[1].

وتزوير آخر مثير للغاية يحمل اسم عالم الأحياء الألماني «إرنست هيجل» (Ernst Haeckel)، وهو معاصر وصديق لداروين. وليؤيد نظريته «التطور الجنيني يلخص التأريخ العرقي»، قال إنه عمل رسومات وهمية تظهر الجنين البشري وكذلك الأسماك كما لو كانا متماثلين. وعمل إضافات لبعض صور الأجنة وأزال أجزاء من بعضها. وبعد أن كُشف، قال مدافعـًا عن نفسه: أظهرت أن الآخرين يعملون نفس الأكاذيب:

«بعد هذا الاعتراف «بالتزوير» يجب أن أكون ملزما لأعتبر نفسي مداناً ومبطلاً، إذ لم يكن لي عزاء إلا أن أرى معي في الأسر جنبا إلى جنب في قفص الاتهام مئات الجناة الاتباع، من بينهم العديد من أشهر المراقبين الثقات وأعظم علماء الأحياء المحترمين. إن الغالبية العظمى للرسوم البيانية في أفضل الكتب المدرسية البيولوجية، وكذلك الأبحاث والصحف تأخذ على عاتقها نفس درجة تهمة «التزوير» فكلهم غير دقيقين، والتلاعب والتخطيط قد يزيد وقد ينقص»[2].

فقط عدد قليل من هذه التزويرات تم ذكرها في الصحافة، ولكن تكشف دراسة التاريخ التطوري العديد من الأمثلة على ذلك: رسومات غريبة الأطوار، وإعادة أبنية كاذبة، والتعديلات الأحفورية ... وكان الغرض من هذا التزوير إعادة الحيوية للناحية النظرية من خلال إعطائها دعمـًا بقدر ما يمكن - دعمـًا لم يكن ليحصل بالأدلة العلمية. وهذه المغالطات هي دليل مهم أن التطور دين عقائدي وأن أتباعه المتعصبين لا يقفون على أي شيء قوي.

---

(1) For more details, see The Evolution Deceit by Harun Yahya.
(2) The Neck of the Giraffe: Where Darwin Went Wrong, p. 204.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٩]

بعد أن تعلمنا عن الديانة الداروينية، ربما قد يسأل الإنسان نفسه: ما الغرض من هذا الدين؟ ما تأمل أن تحققه الداروينية، مع مؤسسها المبجل، وكتابها «المقدس»، وإرسالياتها ومنظماتها القوية في جميع أنحاء العالم؟

للدين الدارويني هدف واحد فقط: أن يحل محل الأديان السماوية ويدمرها - وخصوصاً الدين المطلق، الإسلام -. وبعبارة أخرى، الداروينية هي ضد الدين ومعارضة للدين الحق، حيث وُضعت الداروينية كبديل عن الدين. وهكذا كان هدف كل ديانة وثنية.

وكما هو موضح سابقاً، فإن قوم سبأ سجدوا للشمس، ولكن القرآن يلفت الانتباه إلى حقيقة مهمة، أن مؤسس دين الوثنية، هو الذي يزينها للناس ويحول بينها وبين الصراط الصحيح، ألا وهو الشيطان.

قال تعالى : ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل: ٢٤]

إن الأديان الوثنية التي تقف معارضة لوحي الله تعتمد على وحي الشيطان الذي يعمل كل ما في وسعه لمنع الناس من الاستسلام لله تعالى. ولكن الشيطان يعلم أن الشمس ليست إلها تعبد من دون الله تعالى، وأن الله خلق الشمس كما خلق سبحانه الكون كله.

وبالمثل، تم تشكيل الدين الدارويني ليقدم خدمة «للعملية التطورية» أو البحث العلمي. وفي الحقيقة ليس هناك أي «عملية تطورية» تدرس. الغاية الحقيقية من هذا الدين الباطل هو صرف الناس عن الإيمان بالله تعالى.

أهم هدف من الناحية النظرية هو تغذية عقل الإنسان بالخداع بأن الله لم يخلق العالم، وبناء على هذا، فليس هناك أية مسؤولية للالتزام بقانون إلهي. وفي كثير من الأحيان تؤكد نظرية التطور هذا، بالإشارة إلى أن الإنسان هو نفسه «سيد» وهو «الحافظ» ومسؤول «فقط عن نفسه.»

والحقيقة المنزلة للبشرية في الإسلام والأديان الأخرى تأسست على الوحي الإلهي وهو أن الله خلق الإنسان لغاية: قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة: ٣٦ – ٤٠]

صور الله الإنسان وجعل الحياة في هذا الدنيا زمن ابتلاء بالنسبة لهم. وفي فترة الابتلاء الإنسان مسؤول عن كل عمل يعمله، وعن كل كلمة يقولها أو يكتبها، في الواقع، أن كل فكر أضمره في ذهنه. فالإنسان مسؤول عنه أمام ربه.

لذا، أولئك الذين وقعوا تحت تأثير هذا الدين التطوري، حتى لو كانوا من مؤيديها فإنهم عطشى، يجب أن يهربوا منه بأسرع ما يمكن. فمن الضروري أن يعترفوا بمسؤوليتهم النبيلة، ويحنوا رؤوسهم لله ربنا تعالى، ويخضعون له. وإلا فإنهم سيبقون دوغماتين مغلقي الذهن، يعيشون حياة زائفة كاذبة كاتباع للدين الباطل: قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦]

وسيواجهون يوم الحساب الذي لا يتوقعونه، ويواجهون الحساب الذي طالما أنكروه، ويتحملون عاقبة أعمالهم.